حكومة أقليم كوردستان ـ العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج والمطبوعات

مبادئ الفلسفة
للصف الحادي عشر الاعدادي الادبي

المؤلفون

د. حسام الآلوسي
د. احسان محمد الحسن
د. عبد الأمير الأعسم
د. قيس النوري
د. علي حسين الجابري
د. خالد الجابري
الست فاتنة حمدي جميل
جميل ابراهيم حبيب

المراجعة العلمية والتنقيح
عمر علي شريف

الطبعة التاسعة ٢٠١٦م – ٢٧١٦ كوردي– ١٤٣٧هـ



المشرف العلمي :
نورالدين محمد مهدي

التصميم
عثمان بيرداود

المشرف الفني على الطبع
عثمان بيرداود كواز
اري محسن

الغلاف :
زاگروس محمود

التنضيد الالكتروني :
فيصل عبدالعظيم

الفصل الاول

الفلسفة ومعانيها

مفهوم الفلسفة:

ليس من اليسير على الباحث اعطاء تعريف للفلسفة يكون موجزاً ودقيقاً وشاملاً كما هو الحال في تعريف بعض العلوم الاخرى. لان معنى الفلسفة تغير تدريجياً مع التطور التاريخي للمعرفة الانسانية وللفلسفة ذاتها.

الفلسفة كلمة يونانية مشتقة من كلمتي «فيلو» و «سوفيا» . كلمة «فيلو» تعني المحبة او الرغبة بينما كلمة « سوفيا» تعني المعرفة او الحكمة واللتان تعنيان معا حب الحكمة او المعرفة، الفلسفة تعني بوضوح تعاريف وحدوداً للاشياء التي تتخذها موضوعاً لابحاثها لدرجة انه يمكن تعريفها انها (علم المعارف) واذا كان استاذ العلوم مثلاً لايهتم بتعريف علمه ولابتحديد معاني كثير من الكلمات التي يستعملها مثل (مادة)، (حركة)، (سبب)، (قانون)، الخ فليس ذلك عدم اكتراثه، وانما لكونه يعطي هذه المهمة للفيلسوف ولما كانت افكار الفيلسوف ومفاهيمه التي هي موضوع نظرة وبحث غير ملموس في الغالب انما هي افكار ومفاهيم وتصورات مجردة، فمثلاً عوضاً من الحديث عن هذا الانسان يتحدث الفيلسوف عن مفهوم عام لكل انسان هو الانسانية وهكذا عن البياض عوضاً من هذا الطباشير او الجدار الابيض. اقول لما كان الامر كذلك فمن المنتظر ان لايكون الفيلسوف مقلداً في تعاريفه وابحاثه عن غيره ولذلك صح ان يقال انه لاتوجد فلسفة واحدة، بل فلسفات كثيرة متعددة الاتجاهات، قد يساوي عددها، عدد الفلاسفة انفسهم اذاً يصعب والحالة هذه اعطاء تعريف شامل لها لذلك قيل هي (محاولة انسانية صالحة للاستكشاف والبحث والتجربة وليست مصطلحاً للتعريف) وقديماً قيل: انها بحث عن الحقيقة اوانها حب الحكمة او ماشابه، كما سيتضح بعد قليل. وعليه يمكن القول انه لاتوجد فلسفة واحدة، بل يوجد تفلسف

وهذا التفلسف: هو النشاط العقلي الواعي الذي يحاول به الفلاسفة الكشف عن طبيعة الفكر، وطبيعة الواقع والتجربة الانسانية، وها نحن نقدم مجموعة من التعاريف الممكنة لتبسيط مفهوم الفلسفة.

تعريف الفلسفة:

الفلسفة اذن محاولة منهجية لمعرفة الحقيقة في مظاهرها المختلفة بما في ذلك الكون والإنسان والعلاقة بينهما فالفلسفة تبحث عن معنى الكون والحياة وتتناول بالتحليل علاقة الإنسان بالكون من ناحية قدرات الإنسان على معرفة الكون وتقييمه لها ومن ناحية واجبات الإنسان وحقوقه تجاه ذاته ومجتمعه والآخرين.

الاختلافات الرئيسية بين التفلسف العادي والمنظم:

رأينا أن التفلسف نشاط بشري عام، لكن ثمة مستويات للتفلسف منها مستوى التفلسف العادي او البسيط، او غير المتخصص، أوغير المنظم وهو المستوى الذي نجده عند عامة الناس ومن خلال الحِكم الشائعة وفي الاساطير الضاربة في القدم، وفي الشعر وفي الفنون بشكل عام ومستوى التفلسف المتخصص، المنظم وهو الذي نجده في فلسفات معروفة، واسماء فلاسفة معروفين عبر التاريخ. وتوجد جملة إختلافات بين الموقفين منها:

ا- مسألة اللغة:

يعبر الانسان العادي عن الفلسفة العادية بلغة بسيطة هي لغة الحديث العادي اليومي اما الفلاسفة فيصوغون افكارهم من خلال مصطلح اكثر تجريداً وينبغي تعلمه مثلما نتعلم المصطلح الخاص بأي علم وهذا المصطلح هو الحاجز الأكبر الذي يمنع الناس عامة من فهم معظم الفلاسفة لكن هذا العائق سرعان مايتضاءل بعد تعلم الإنسان مصطلحات الفلسفة والقراءة المستمرة لها. والمصطلحات مهمة في كل علم، ولايمكن الاستغناء عنها لان فيها دقة وعمقاً يغني عن جملة كاملة من الكلام العادي.

ب- الفكرة:

توجد الفكرة في الفلسفات الشعبية او العادية بصورة ضمنية ونجدها في الفكر

المنهجي صريحة ظاهرة أن الفلسفة في التفكير العادي فلسفة في طور الجنين، على حين انها كائن عضوي ناضج في الفلسفات المنظمة.

ج- مسألة التنظيم والاتساق:

تفتقر الآراء الشعبية العامة الى التنظيم والاتساق على حين نجد النظام الفلسفي المحترف منسقاً وشديد الوحدة والتماسك، والمذهب الفلسفي من هذا النوع محكم البناء.

د - الانقطاع والاستمرارية:

التفلسف العادي متقطع، على حين التفلسف المتخصص المنظم حالة مستمرة لدى الفيلسوف، وكما لانسمي زَجاجاً الا من اشتغل بتركيب الزجاج او صنعه، كذلك الحال مع التفلسف فكلمة فيلسوف اذا استعملت بدقة فلاتطلق على من ينظر الى الشئ احياناً فيتأمله ويفحصه او يشك فيه، وانما يسمى فيلسوفاً من يزاول ذلك باستمرار جاعلاً هذا اهم غرض لحياته، دارساً طبائع الاشياء، وسيلته في ذلك فكرة، زيادة على معرفة ماوصل اليه من سبقه وما قاله في المسائل التي يفكر فيها غيره من المفكرين.

هـ- وضوح الوعي وغموضه:

زيادة على ماتقدم نجد الإنسان في مراحله الاولى، وفي حياة الإنسان العادي، قد تعددت عنده اشكال الوعي المختلفة من علم وفن واساطير، ومعتقدات الخ، قبل تشكل الوعي المنظم ولم تكن العلوم المستقلة الخاصة بالطبيعة أو المجتمع او الإنسان قد ظهرت بعد كذلك يتطابق الإدراك الاجتماعي للفرد مع ادراك الجماعة اوالعشيرة، فمشاعره مشاعرها، وتفكيره تفكيرها، وكذلك اخلاقه وجمالياته. وفي مرحلة التفكير المنظم لاحقاً يتغير الادراك مضموناً وشكلاً فتظهر المؤسسات والمنظمات، كالدولة والشرطة والجيش، وينقسم العمل الى فكري وجسدي، وينبثق الإدراك المنظم وتنفصل العلوم، ونجد ان الأشياء بالنسبة للإنسان العادي هي كما تبدو له، فلايشك في أن الارض ثابتة، وهكذا نظرته إليها خالية من عنصر التحليل او النقد فهي نظرة واقعية بسيطة كما أن انطباعاته حسية تعتمد على الحواس وملاحظاته متفرقة لاتربطها مفهومات عامة،

ولانظريات ولاقوانين، فهو مثلاً يعرف الحديد والنحاس والذهب ويستعملها،لكن ليس عنده مفهوم كلي عملي للمعدن ولا معرفة بالقوانين التي تحكمه.

دواعي التفكير الفلسفي:

من كل ماتقدم يمكن أن نُحمل أسباب ودواعي التفلسف ومتابعته بما يأتي:--

١- التأمل والتعجب والدهشة:

أن أهم خاصية للانسان بجانب الاجتماع والتجمع، هي انه المخلوق الوحيد الذي يسأل عن وجوده وعن وجود الأشياء من حوله، وحين يغدو الانسان واعياً لاول مرة يسلم بوجوده تسليماً لايحتاج الى تفسير، لكن هذه الحالة لاتستمر طويلاً، وذلك لانه يبدأ بالتساؤل والتساؤل هو الفلسفة، والتساؤل يسلمه الى التعجب والدهشة وكلما كان الانسان ادنى مرتبة التفكير كان سؤاله اقل عن لغز الوجود، ولكن كلما زاد وعي الانسان اتضاحاً بدت له المشكلة جلية، وحينئذ ينقلب التأمل والتعجب الى دهشة يتبعها اصرار على معرفة الاسباب وتفسيرها.

٢- الشك وامتحان المعرفة:

والواقع أن هذا خاصية التعقل البشري، وهذا الشك يثور حين يبدو للمرء ان المعارف الحسية تخدع (فالعطشان يرى السراب ماء) والمحموم لايحس بطعم الماء، والعين ترينا الشمس بحجم قدم اوقدمين واعمى الالوان لايرى بعض الالوان والقلم يُرى في الماء منكسراً أومعوجاً، وغير هذا كثر، كما يبدو للمرء ان العقل البشري يقع في متناقضات(كما يدل ذلك اختلاف الآراء والاحكام والمذاهب بل والحكم باحكام مختلفة من كثيرين على شئ الواحد) كذلك يبدو للانسان ان ماكسبه المرء من معارف عن طريق التقليد يعتمد على التسليم، وربما ليس له اساس، حينئذ يثور الشك في نفسه محاولاً البحث عن معارف حقيقية واضحة.

٣- الخوف من المجهول:

مرده قلق الانسان من المشكلات التي تواجهه كالموت والمرض والآلام والكفاح في الحياة والخضوع للمصادفة والاسباب المجهولة الخ ماهناك، كل هذا يمثل منبعاً من المنابع الاصلية للتفلسف.

٤- التواصل وحوار الاجيال:

التواصل مع الآخرين هو السبب الاهم ويرى احد الفلاسفة المحدثين ان قيمته مشروطة بالتواصل بين الناس، فكل فلسفة تحاول الانتقال الى الآخرين، وتود أن تفصح عن نفسها، وان يسمعها الناس وبالتواصل يبلغ المرء هدف الفلسفة الذي فيه يتحسس في نهاية الامر معنى كل الاهداف الاخرى في فهم الوجود وكمال الهدوء والاستقرار.

ميادين الفلسفة واهدافها عبر عصورها الكبرى:

جاء هذا الموضوع -- عزيزي الطالب -- من اجل معرفة الهدف الاساس الذي ساد هذه المرحلة او تلك من تاريخ الفلسفة الطويل لكي نكمل الصورة التي رسمناها حتى الان للفلسفة، موضوعاً ومنهجاً وتعريفاً ومشكلات، اما هدف الفلسفة القديمة (الهند والصين ووادي الرافدين ومصر) فهو هدف علمي، حياتي يدور حول الانسان واخلاقه ومصيره، وحول مشكلة الموت والخلود، والخلاص من الجسد اومن العذاب والالم. اما مع الفلسفة اليونانية، فنجد انه ابتداءً بطاليس والمدارس الطبيعية قبل سقراط، هدف الفلسفة وموضوعها الاكبر هو البحث في العالم الطبيعي من حول الانسان، ماأصل الموجودات، أهو عنصر واحد ام اكثر؟ وكيف نفهم الوحدة والكثرة في الاشياء؟ وكانت الفلسفة والعلم شيئاً واحداً عند هؤلاء فالعالم هو في الوقت نفسه فيلسوف لكن هذا الاهتمام بالعالم الخارجي تحول الى الاهتمام بالانسان واخلاقه، وعلاقاته بالاخرين، وتم ذلك على يد السوفسطائيين وسقراط وعلى يد افلاطون وارسطو وفلاسفة الاسلام والفلاسفة المحدثين والمعاصرين تكامل البحث في الكون والانسان والمجتمع والسياسة والفن واصبحت ميادين الفلسفة (ماوراء الطبيعة) و (الطبيعة) و (علم المنطق) و (نظرية المعرفة) و (فلسفة الفن) و (علم الجمال) و (فلسفة الاخلاق) و (فلسفة العلوم) والعقائد.

وقد اتجهت الفلسفة لاحقاً الى دراسة الانسان الشخص الواقعي لا العام، كما ربطت التفلسف بالعمل والتغيير فلابد من استخدام العلم والعقل من اجل تغيير العالم، أي ربط الفكر بالعمل. وهذا مفتاح معظم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة التي لابد منها لبناء المجتمع المتقدم.

اسئله الفصل الاول

س ١– وضح اهمية الفلسفة؟

س ٢– مالفرق بين الفلسفة الاعتيادية والفلسفة المنظمة؟

س ٣– ماصل اشتقاق كلمة (الفلسفة) ومامعناها؟

س ٤– هل يمكن ان نقول ان الفلسفة هي حب الحكمة؟ ماالذي ينقص هذا القول؟

س ٥– حاول ان تستخلص افكار اساسية من التعريفات المختلفة للفلسفة، واعط تعريفاً يجمع بينها؟

س ٦– ناقش التعاريف المختلفة للفلسفة؟

س ٧– مادواعي التفكير الفلسفي؟

س ٨– وضح هدف الفلسفة العام، وهدفها الخاص في العهوداليونانية والاسلامية والحديثة؟

س ٩– اورد امثلة على بعض التطبيقات العملية للفلسفة؟

الفصل الثاني
اصناف التفكير

يمكن تصنيف التفكير الى مايأتي:

١- التفكير الملحمي الاسطوري القديم.

٢- التفكير الديني.

٣- التفكير العلمي.

٤- التفكير الفلسفي.

وسنبدأ برسم خصائص هذه الانواع الأربعة من التفكير وعلى النحو الآتي:

اولاً: التفكير الملحمي الاسطوري القديم:

لابد من الحديث باقتضاب عن هذا النمط من التفكير، وهو يمثل مرحلة تاريخية بعيدة جداً قياساً على المراحل الفلسفية والعلمية، و لأن الكثير من آلياته وخصائصه لاتزال موجودة في مجتمعنا ومختلف المجتمعات على نطاق العالم بشكل او بآخر، وهذه الخصائص هي:

١- ضعف مستوى التفكير:

كان الانسان البدائي يعتمد على حواسه. وافكاره لاتتجاوز هذا المدى لكنه كان يستخدم خياله بشكل واسع كبير، ولم يكن يميز (خصوصاً في المرحلة البدائية الاولى) بين جامد وحي، فالاشياء كلها تعد على مستوى واحد متقارب اكثر مايظهر لنا وهي عنده متحدة بنوع من العلاقات الخفية، فكل الظواهر والكائنات في الطبيعة تبدو لعقله مختلطة بأمور سرية غيبية، وهو كل ماواجهته ظاهرة تخصه (نفسية) مثل الاحلام، او تخص الاشياء من حوله مثل المطر او الفيضان أو الوباء او القحط اتجه اهتمامه في الحال الى سر يختفي خلفها ويؤثر فيها. فعندما يدرك أن البرد يعرض الانسان للموت، فهو يعد البرد مظهراً لسحر ساحرة او قوة معينة مجهولة، مثل روح الموتى، اوكيد الارواح الشريرة.

٢- حيوية الموجودات:

يعني معاملة البدائي للموجودات بكونها طبيعية حية في المرحلة الاولى ثم اعتقد بوجود الروح فيها. وهذه بداية الانفصال بين جامد وحي، أو مادة وروح. فاذا تدحرجت صخرة. فمعنى ذلك أن فيها روحاً دحرجتها. ويبدو هنا أن الانسان يبسط تصوراته عن نفسه وارادته وحرية حركته على الاشياء كلها لدرجة انه يعاقب الحجر اذا ادمى رجله ان التفكير الاسطوري يقوم اساسا على صبغ الظواهر لطبيعية غير الحية، بصبغة الحياة بحيث تسلك كما لو كانت كائنات حية تحس وتنفعل وتتعاطف او تتنافر مثل الانسان.

ثانياً: التفكير الديني:

ويقصد منه بيان حقيقة التفكير الديني وأهم خصائصه المميزة له عن بقية انماط التفكير الاخرى من اسطوري، وفلسفي وعلمي. كما ان هذا لن يتناول ما يسمى (باللاهوت) او فلسفة الدين، سواء كان المقصود فلسفة الدين بشكل عام. اوالفلسفة اللاهوتية لدين معين مثل الدين الاسلامي او الدين المسيحي. وقبل بيان خصائص التفكير الديني، لابد من الاشارة بأقتضاب شديد الى تفسيرين كبيرين لمنشأ التدين: احدهما، التفسير التاريخي العقلي الخالص او البشري، والثاني التفسير الديني او الالهي.

١- التفسير العقلي الخالص (البشري):

ويأخذ هذا التفسير وثائقه وشهاداته من الدراسات الاجتماعية المختلفة وعقائد واديان الشعوب التي مازالت في اطوار المجتمعات البدائية، ومن بعض الآثار. والخطوط العامة (تاركين النظريات المختلفة) أن الانسان البدائي بعد أن فصل بين الشيء والحياة التي فيه، كما اوضحنا عند كلامنا عن حيوية الموجودات حيث نسبها لارواح وقوى خفية اضافة الى خوفه من الطبيعة خوفه من الكائنات غير المرئية، ونسب لها جميع ما يحدث له او مايجري امامه على مسرح الطبيعة والحياة فلم يعد له

من ملاذ الاالعمل على استرضائها بواسطة الاعمال السحرية والطقوس والقرابين والدعوات والعزائم والطلاسم. وكانت هذه كلها هي المظاهر الاولى للدين البدائي. ولما كان البدائي يعيش على الصيدفي الغابات. فقد دفعه خوفه من الوحوش والحشرات الى عبادة الحيوان والنبات، فنشأت الديانة الطوطمية، اذ تتخذ من الطوطم رمزا للعشرة يمثل فكرتها المقدسة، ويحسم القوة الخارقة التي تتمثل في فكرة (اله) اوقوى عظمى. وكما لاحظنا من قبل، فقد نشأت عن العقيدة الطوطمية هذه انواع من المحارم .والممنوعات المقدسات، والتي سميت ب(التابو)وهي المظهر الاجتماعي لكل دين.

وعندما انتقل الانسان من حياة الصيد الى حياة الزراعة كانت اول مشكلة واجهته هي الحصول على غلة او محصول زراعي طيب، ومن هنا اصبحت مسألة الخصم شغله الشاغل، فالتجأ الى السحر والقرابين والاضاحي يقدمها الى الارض يسترضيها والى النجوم والكواكب يستعطفها لكونها كائنات روحية هي مصدر الصواعق والامطار، ومصدر الرياح والنور واصبح كل كوكب الها معيناً وهكذا نشأت (عبادة الكواكب) وأصبح كل كوكب الها مختصاً بجانب، فهذا اله المطر، وذلك اله الخصب وهكذا، غير أن الانسان البدائي لم يكن مصدر خوفه الحيوانات والكوارث الطبيعية حسب، بل هناك مايصاحبه دائماً وهو ما يراه خلال النوم من احلام، وخصوصاً مايتعلق منها بالموتى، ومن هناك نشأت (عبادة الموتى) التي سرعان ماتطورت الى عبادة الاسلاف فاصبح الاقوياء في حياتهم مصدر خوف في مماتهم، فوجب احترامهم وتقديسهم وعبادتهم، وفي (مصر وروما والمكسيك وبيروت) كان الملك يُعبد كإله قبل وبعد وفاته.

٢- الدين من الله – سبحانه – عن طريق الوحي (التفسير الديني):

الحنفية (الموحدة) التي قال بها ابراهيم الخليل (ع) هي اصل الأديان السماوية المنزلة حسب تعاقبها التأريخي:(اليهودية والمسيحية وخاتمها الدين الاسلامي الحنيف) ان الانسان تلقى الارشاد الالهي اول الامر من دين التوحيد الصحيح. لاتقر الا باله

واحد هو التوحيد الصحيح، ولن الدين هو بتعليم روحي إلهي، في الاصول المقومة للدين الصحيح، وهي الايمان والتسليم بوجود إله واحد اوجد الكون والانسان اعطاه الهداية والعقل والحواس للاهتداء اليه، بالتدبر في الكون وفي مخلوقات الله – تعالى – وفي تدبير الانسان وتأمله لنفسه، ثم الايمان بوجود حياة اخرى بعد الموت (بعث) بعدْان تقوم القيامة، ثم يحاسب الناس على مافعلوه فيذهب الاخيار الى النعيم، ويذهب الاشرار الى الجحيم والعذاب. كما يعبر المؤمن عن طاعته لله – جل في علاه – وايمانه بدينه، بتلبية مافرضه الله سبحانه وتعالى من فرائض وشرائع. وهذا ماأوضحته الديانات السماوية الكبرى الثلاث. ويرى عدد من المعنيين ان النزعة الى التقديس، تنبع من صميم العقل الانساني، وان في روح الانسان نزعة عميقة للاتصال بالله – سبحانه وتعالى، وان الشعور الطبيعي عند الانسان يكفي ليجعله يؤمن باله واحد خالق مدبر للعالم

ثالثاً: التفكير العلمي:

لابد من معرفة التطور الذي طرأ على معنى العلم، وكيف تشكل معنى العلم بالتدريج على مر العصور، وكيف تبلورت مناهج واساليب ممارسته حتى وصل الى افضل نموذج للدقة والانضباط في استخدام العقل البشري من خلال النقاط الآتية:

١– العلم عند القدماء:

كشفت تطور تقنيات البحث عن الأثار عن خطأ الرأي القائل بالسبق اليوناني في نشأة العلوم، وهو امر اكدته حضارات وادي الرافدين والنيل من اختراعات وكشوفات تتعلق بالآلات والادوات المستعملة للصيد او الطبخ او الزراعة او السكن او الحياكة او مأأشبه ذلك، نظرة واحدة الى ماحققه الانسان في مئات الآلاف من السنين في هذا المجال تدل على عظم ماتدين به البشرية للانسان القديم، وهو يحقق هذه الامور، حتى استطاع شق الترع واقامة المدن، واعمار الارض وتعدين المعادن وصنع الأدوات المعدنية والخشبية، والآت الحرب والملبس والحماية من كوارث المناخ والطبيعة،

ولابد انه صاحب كل هذه الكشوف للقوى الطبيعية كالماء والرياح والنار وللاختراعات تطور في تهذيب تفكير الانسان وصقله على نحو يساعدعل ظهور العلم في مراحل لاحقة، بمعناه الصحيح، وهذا التراكم قد مكن الانسان تدريجياً عل ظهور بدايات التفكير العلمي. كثيرة هي منجزات الانسان العلمية سنعرض لها في مناسبات قادمة في حديثنا عن الحضارات التاريخية، او المكتوبة، وهي الحضارات الكبرى التي ظهرت منذ الاف السنين في اودية الانهار الكبرى، كالنيل والفرات والهند والصين، وهي حضارات مزدهرة وناضجة بالقياس الى عصرها، والتي ارتكزت على العلم في نهضتها، مثلما اعتمدت على العقل وابداعاته وحكمة الانسان.

٢- العلم اليوناني:

لقد سقطت الفكرة القائلة ان كل العلوم والفلسفات الانسانية يونانية النشأة ولاشئ لشعوب وادي الرافدين ووادي النيل غير الاسطورة والتخلف، وذلك بفضل الكشف عن الانجازات العلمية لهاتين الحضارتين ولحضارات اخرى شرقية وثبت ان ماقدمه اليونان هو ليس الا استمرار لما قدمته تلك الحضارات، كان تقدم علم اليونان لابد منه بسبب وجود انجاز تراكمي علمي قبله، وليس بسبب غياب التقدم العلمي السابق عليه، وبذلك بطلت فكرة المعجزة اليونانية التي ليس لها جذور ولا اباء وكأنها ومضة في ظلام كما يعبر احد اشياء هذه النظرة الخاطئة واكثر من هذا فأن ظهور العلم والفلسفة في اماكن اسيا الصغرى وجنوب ايطاليا دليل على الاخذ من المصريين والبابليين والفنيقيين، وتوثق هذا بشهادة علماء وفلاسفة اليونان، مثل طاليس وأفلاطون وهيرودوت، شهادتهم بتقدم علوم الرياضيات والفلك وغيرها عند هؤلاء الشرقيين وانهم تعلموا من علوم هذه الامم. ولكن الاهم من كل ذلك شهادة الوقائع، لقد تعرف مؤرخو العلم مثل (سارتون) وغيره على جزئيات علم المصريين والعراقيين القدامى، فتحدثوا طويلا عن تقدم فن العمران، واثبتوا ان وراء بناء الاهرام والسدود وشبكات الري تقدماً في علوم المساحة والهندسة والري والبناء والتعامل مع الاحجار والمعدن، وكذلك على تقدم علوم الكيمياء والاصباغ بالنسبة

للتحنيط والفنون، بالاضافة الى التقويمات الفلكية لدرجة ان بعض مؤرخي الرياضيات يقولون ان رياضيات البابليين اكثر تقدماً مما عند اليونان. لقد وضع البابليون اسس الجبر والهندسة وطريقة تقريبية لحساب الجذر التربيعي وعرفوا كيفية حل معادلات من الدرجة الثانية، كما عرف المصريون حساب حجم الهرم الناقص ذي القاعدة المربعة، ودساتير حساب المثلث والمستطيل وشبه المنحرف والدائرة كما كشفت اوراق البردي والالواح الطينية عن تقدم هائل في الطب السريري والنظري، وكشف التشريع في وادي الرافدين، مثل مسلة حمورابي عن تقدم (القانون) والنظم الاجتماعية فما هي طبيعة الاضافة اليونانية في العلوم؟

أ- العلم اليوناني القديم:

مامن شك في ان اليونانيين تقدموا بالعلم كثيراً من الناحية النظرية اما من ناحية الانجازات العلمية من عمران وسدود، وري ومواصلات وزراعة وتعدين.. الخ فلا يوجد امتياز يذكر عما تركته الحضارات الشرقية السابقة عليهم، وهذا بشهادة مؤرخ العلم الكبير برنال. اما بالنسبة للعمل النظري فاضافتهم كبيرة وتتمثل في الآتي:

١- توصلهم الى اهم سمة العلم وهي العمومية والشمول، فكما قال ارسطو لاعلم



الفلسفة عند اليونان

الابما هو عام، بمعنى كشف القانون العلمي اوالحكم الشامل من وراء الحالات الجزئية، اوالفردية، وهذا اساس تقدم العلوم والفلسفة عندهم أعني (التجريد)

٢- هذه الرغبة في معرفة العلم والقوانين المجردة للاشياء وسمت علمهم بأنه نظري وهذه هي الميزة الكبرى التي يرى مؤرخو الفكر الغربيون انها الحد الفاصل بين فكر اليونانوكل تفكير سابق لهم لاسيما بنضج علم المنطق عندهم.

لكن هذه الايجابيات تقابلها سلبيات وعيوب لحقت بالعلم اليوناني والفلسفة معاً واهمها

أ- المغالات كثيرا في التعميم الى حد اطلاق الاحكام المتسرعة، وتجاهل الفردية للظواهر.

ب- من نتيجة ذلك لم يفصلوا بين العلم والفلسفة وانما هناك نوع واحد عندهم من المعرفة، مما اخر العلم، الى ان استقلت العلوم حديثاً فتقدمت.

ج--احتقار العلم التطبيقي، او الذي يهدف الى نفع عملي، فلم يحصل تقدم يذكر في العلوم العملية، التي تغير الحياة، من سدود الى زراعة الى تعدين..الخ لاعتقادهم ان الاعمال والحرف والصنائع هي من عمل العبيد لاتليق بالاحرار الى جانب احتقار معظم فلاسفتهم للمعرفة الحسية.

ب - العلم في العصور الوسطى الغربية:

في هذا العصر لم يحرز العلم تقدماً حاسماً في أي مجال، ولم يظهر تغير جديد في مفهوم العلم، كما عرضه ارسطو وتبنته الكنيسة، وكل خروج عنها هو خروج عن قداسته الدينية، هذا من ناحية المنهج وآفاق العلم، فضلاً عن اسلوب التفكير هو الجدل اللفظي العقيم المستمد من (الكتب) وليس من المعرفة الطبيعية مباشرة.

٣- العلم في العصور الاسلامية:

الميزة الاساس هنا تقدم العلوم، ولم يكن العلم العربي الاسلامي تقليداً لليونان بل جاء نقداً لأخطائهم فنجد اسماء علماء اليونان تتردد هنا، حيث كان العلم العربي يسير في طريق اخر هو:

أ- الاهتمام بالعلم التجريبي، واستخدام البحث العلمي، واتضاح اصول المنهج التجريبي على ايدي العلماء المسلمون ، اذ تضمن هذا شروط من ملاحظة دقيقة للظواهر ووضع الفروض لتفسيرها واجراء التجارب للتحقق منها.

ب - استخدام العلم من اجل الكشف عن اسرار الطبيعة والسيطرة على العالم الطبيعي، وفعلاً كانت ثمرة ذلك تطبيقات للعلوم، فكان العرب بارعين في استخدام الارقام ووضع اسس علم الحساب الذي يمكن تطبيقه في الحياة اليومية، كذلك ابتكروا الجبر، والهندسة التحليلية وابتكروا حساب المثلثات، وكل ذلك ايذاناً بعصر جديد تستخدم فيه الرياضيات للتعبير عن قوانين العالم الطبيعي، وتطبق في مبادئها من اجل حل مشكلات المساحة الارضية وحساب المواقيت، وصناعة الاجهزة الآلية، وكذلك كانت كشوفهم الفلكية مرشداً للملاحين والجغرافيين، اما بحوثهم الصيدلانية والطبية فكانت ذات دلالات تطبيقية واضحة، وكان من اهم اسباب هذا فضلاً عن عامل اتساع رقعة العالم الاسلامي ودخول خبرات وتجارب امم كثيرة سبب رئيس وهو النظرة الاسلامية التي تجمع بين الدنيا والآخرة وبين العلم والدين، مرتكزة على شعار (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا،واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)

٤- العلم في العصر الحديث:

سنعرض في الفصل الخاص بتاريخ الفلسفة اسباب التبدل الجذري الكلي في التفكيرالاوربي الحديث ازاء العلم والفلسفة، وسنتعرف في الفصل الخاص بالمنهج على خطوط المنهج العلمي الحديث، وسنطلع في فصول اخرى على موجز لتاريخ الفلسفي وعن ممثليها ممن صنعوا وطبقوا خصائص النظرة العلمية الحديثة، سواء أكانت الطريقة التجريبية أم الرياضية الاستنباطية أم العقلية. وكل ماعلينا ذكره هنا هو أهم خصائص النظرة العلمية، والمنهج العلمي، وطبيعة العلم اليوم

اولاً: لايمكن فصل التقدم العلمي الذي حدث في أوربا عن المنجزات العلمية للعلماء المسلمين.

ثانياً: انـفصال العلوم تدريجياً عن الفلسفة لم يشكل على ايدي العلماء وحدهم، بل اسهم فيه بدور عظيم الاهمية الفلاسفة.

ثالثـاً: الاعتماد على ملاحظـة الظواهر ومشاهدتـها تجريبياً، بلاً من الاكتفاء بالكلام عنهاأي انه لم يعد فهم الطبيعة وحل المشكلات الحياتية، وتفسير الظواهر الطبيعية ممكناً عن طريق التأمل النظري وحده ولاعن طريق الاستدلالات اللفظية. العالم هو الذي يستكشف والفيلسوف يجمع النتائج، ويكون منها فلسفته.

رابعاً: العلم والقانون العلمي، ثمرة للتجارب والاستقراء، مهمة العالم اصبحت دراسة ظواهر محددة، والانتقال من حقيقة جزئية الى اخرى. وبالتدريج يعلو على ايدي اعداد كبيرة من العلماء وفي شتى الميادين بناء المعرفة ونظرة اكثر صواباً الى العالم والاشياء

خامساً: أن كل علم قابل للتطبيق وأن العلوم كلها مطلوبة، سواء كانت تتعلق بموضوعات ارضية ام سماوية ام بحاجات بسيطة كالطعام وحفظه، ومعنى هذا أن العلم والفكر مطلوبان ليس لوصف الاشياء والعالم فحسب بل لتغييرها.

سادساً: محاولة استخدام الرياضيات، والمقاييس الكمية في العمل، أوصياغة قوانين العلم (معادلات) صياغة رياضية، أي على شكل نسب حسابية، فلانقول هذا حار، بل نقول أن حرارته (٥٣مْ) مثلاً، وتضع نسباً حسابية للاحتمال والصدق وانطباق القانون على الحالات المدروسة.

خصائص التفكير العلمي:

مع اختلاف الباحثين في تقديم اوتأخير بعض هذه الخصائص على بعض، فهم يكادون يجمعون على الخصائص الآتية:

١-التراكمية:

العلم معرفة تراكمية، والمعرفة العلمية اشبه بالبناء الذي يشيد طبقة فوق طبقة مع فارقهو ان سكان هذا البناء ينتقلون (باستمرار) الى الطبقة الجديدة العليا تاركين التي تحتها بخلاف الفلسفة اذ أن الفلسفة الجديدة لا تحل اوتشطب اوتلغي التي قبلها لمجرد حدث تاريخي. (وصفة التراكمية هذه تكشف عن خاصية اساسية للحقيقة العلمية، وهي

انـها نسبية) بمـعنى ان العلم يتـطور، وماكان حقيـقة علمية يـحل محلها لاحقـاً مايعادلها أويُلغيـها. فنظرية بطليموس اوفيزياء نيوتن كانت كل في زمانه مطلقة، ثم حلت محلها نـظرية كوبرنيكوس والتصـور الحديث للعالم، وفيزياء اينشـتاين وهذا يعني انها نسبية أي (نـسبية يقينيـة مادامت هي الجـواب العلـمي الصائب).
وهـذا النـمو التـراكمـي يسير في اتجاهـين اتجاه رأسي أوعـمـودي، وآخر أفـقي، أما العمودي ففيه يعـود العلم الى بحث الظواهر نفسهـا التي سبق بحثها، ولكن من منظور جـديد، ففـيه كشف أبـعاد جـديدة فموضـوع طـبيـعة الاجـسام أوالمـادة موضـوع قديم حديث. ويتطور ويتعمق.

امـا الافقي فـهو اتجـاه العـلم الى التـوسع والامتـداد الى ميـادين جديـدة، فقد بدأت الـعلوم بدراسة الطبيـعة غير الحية، ثم وصل الان الى دراسة الانـسان منهجياً، ميدان علم الاجتماع وعلم النفس.

٢- التنظيم:

الـعلم تنظيم لـطريقة تـفكيرنا ولأسـلوب ممارستـنا العقلـية، ويعني هـذا التغلب على عاداتنا المختلفة واخضاع تفكيرنا لارادتنا الواعية.

٣- الشمولية والموضوعية:

المعرفة الـعلمية شامـلة أي بمعنى انها تسـري على جميع امثلـة الظاهرة، لاشأن لها بالظاهرة الـفردية، فاذا تحـدث العلم عن سقـوط الاجسام، فحديـثه اوكشفه لاعلاقة له بـالحديث عن سقوط هذا الجـسم بالذات عن كل الاجسام المـاثلة له. هذا من جهة ومن جهـة اخرى ان الحقيقـة العلمـية شاملـة بمعنى انهـا تقبل وتصدق فـي نظر أي عقل يلم بها، بصرف النظر عما يشتهي الباحث.

٤- الدقة والتفكير الوصفي (الكمي) :

تختلف لغة العلم عن اللغة الـعادية بالدقة ففي اللغة العادية يعبر الانسان عن افكاره ورغباته فيقول، قلبي يـحدثني، او أرى كذا وهو حديث مفيد ومؤد للغرض لكن العلم لايكتـفي بهـذه اللـغة، بل يـحاول استـخدام لـغة الـرياضيـات، خصـوصاً في الـعصور الحديثة.

رابعاً: التفكير الفلسفي:

لابد من أن الطالب قد عرفَ مما تقدم من حديث عن الفلسفة ومستوياتها، ومنابعها وموضوعاتها الرئيسية، وأسئلتها الاساسية، الفروق بينها وبين التفكير الاسطوري، والديني والعلمي، ولذلك فأن وقفتنا لن تطول هنا، وسنركز على تجميع الخصائص الرئيسية لهذا التفكير.

خصائص التفكير الفلسفي:

١- الفلسفة تعني التفكير:

الفلسفة تفكير في الكون، وفي الانسان وفي المعرفة وطرق المعرفة، اننا عندما نتحدث عن الاسطورة، وعن الدين وعن العلم الطبيعي، كنا نتفلسف ونصور تحليلاتنا عن تفكير فلسفي حول موضوعات الاسطورة والدين والعلم، بل اننا كنا نتفلسف حتى عندما كنا نحاول تحليل التعاريف المكنة للفلسفة ورسم المعالم الرئيسية لمنابعها واهدافها.

٢- الفلسفة سؤال:

يعني سؤال اكبر: وليس معنى أنها سؤال اكبر انها تقدم السؤال الكبير بل معناه انها سؤال دائم وفوق ذلك لقد قيل ان الاسئلة في الفلسفة اهم من الاجوبة ذلك ان الفلسفة لاتعطي الجواب النهائي القاطع لان في الجواب نهاية للفلسفة نفسها بل نهاية لكل تفكير، الفلسفة تضع الاشياء دائماً في صيغة سؤال وكل جواب يقدمه هذا الفيلسوف اوذاك عن هذه المسألة او تلك، انما تنحصر قيمته في كونه يمكن فيلسوفا اخر من خلال مناقشته والكشف عن ثغراته، من وضع السؤال وضعاً احسن وبذلك تعترف الفلسفة (للعقول) وللعقلاء يحق ابداء الرأي.

ان اهم طابع للتفلسف وللسؤال الفلسفي هو انه لايقف عند المشاهدة او التجربة التي يمارسها العالم وانما يصل التجريد انه لايرى الاشياء جزئيات متناثرة، كحبات مسبحة منفرطة العقد، اوبدون خيط يجمعها، بل يحاول أن يتعدى هذه الجزئيات او الظواهر المتتابعة الى رباط يربطها في كلتيها ليصل الى المفاهيم الكلية التي تضم

مجموعة من الجزئيات وتفسيرها، وهكذا يصل الى مفهوم (الطبيعة) بالنسبة الى الظواهر المادية، ومفاهيم (الانسانية) والادراك والارادة بالنسبة الى الكائنات العاقلة ومفاهيم الترابط السببي والنظام والغاية والتطوير بالنسبة الى الظواهر الكونية وهذا الجهد يحتاج الى اكثر من عمل في هذا الحقل او ذاك من حقول المعرفة والعلم والخبرة انه اختصاص الفيلسوف، الذي يتقصى المبادئ والاصول القصوى لكل حدث اوظاهرة، سواء في حيز الطبيعة ام حيز الاخلاق والقيم، وقد اطلع الطالب على مجموعة من المشكلات والاسئلة فيما تقدم.

٣- الفلسفة نقد وتحليل:

ان من السمات الاساسية للتفكير الفلسفي انه تفكير نقدي تحليلي، لأن الفيلسوف يبدأ دوما صراحة أو ضمناً، بتحليل المعارف والتصورات والآراء والنظريات السائدة، تحليلا نقديا يستهدف بيان حقيقتها او زيفها، وهو يفعل ذلك لايشغل نفسه بفحص كل جزئية على حدة وانما يعمد في الغالب الى نقد الاسس المعرفية التي تقوم عليها تلك المعارف. وتتجاوز الفلسفة دورها لنقد المعتقدات والمعارف والنظريات الى مهمة اخرى هي نقد وتحليل ادوات المعرفة ذاتها من حواس وعقل، وحدس، فتبحث في إمكانية قيام المعرفة وفي الطرق الموصلة اليها وفي تحديد شروط المعرفة وغير ذلك مما يدخل في إطار مايسمى بنظرية المعرفة التي سندرسها لاحقاً كذلك تعني المهمة النقدية التحليلية للفلسفة (البحث في المناهج) التي تستخدمها العلوم المختلفة من رياضية وطبيعية من أجل الكشف عن الاسس التي تقوم عليها هذه المناهج مستقلة وموحدة .

٤- الفلسفة تركيب وصنع مذاهب وتأمل:

هذه الخاصية هي التي كانت ولاتزال تعطي للفلسفة، أي صنع المذاهب والمواقف الفكرية الشاملة. هنا ينصب الاهتمام على النتيجة المتوقعة من تركيب كل المعارف التي اكتسبها الانسان وكل التجربة الكلية للبشر يبحث الفيلسوف عن اشمل رأي ممكن بشأن الكون والانسان وطبيعة الواقع، ومعنى الحياة، وأصل الوعي ومكانة الانسان

ومصيره، وغير ذلك. والهدف هنا الشمول او الوصول الى نظرة كلية جامعة، والفيلسوف هنا يعوض عن تخصص العالم، انه اشبه بمركز جهاز استقبال لكل نتائج العلوم المتعددة والخبرة الجماعية للبشر، اوهو اشبه بالنحلة التي تمتص رحيق زهور عديدة لتصنع لنا العسل على حد تعبير فرنسيس بيكون، او هو اشبه بقائد الاوركسترا.

اسئله الفصل الثانى

س ١ :عدد خصائص التفكير الاسطوري وتوسع في واحدة منها.

س ٢ :وضح التفاسير المختلفة لنشأة الدين وناقشها.

س ٣ :ماخصائص التفكير الديني؟

س ٤ :وضح طبيعة العلم في العالم الشرقي القديم (قبل اليونان).

س ٥ :ماإيجابيات العلم اليوناني القديم وسلبياته.

س ٦ :ماخصائص العلم في العصور الحديثة؟

س ٧ :وضح خصائص التفكير العلمي.

س ٨ :وضح خصائص التفكير الفلسفي.

الفصل الثالث

مباحث الفلسفة العامة

سبق القول ان الفلسفة كانت تعني قديماً العلم والمعرفة بكلتيها، فالفيلسوف هو الحكيم أو محب الحكمة الملم بكل معارف عصره. الا ان تطور العلوم المختلفة والنزعة التخصصية في العلم ادت الى إستقلال هذه العلوم وظهور علوم جديدة ابتعدت تدريجياً عن الفلسفة التي كانت سابقاً ام العلوم وبقيت الفلسفة محتفظة بثلاثة مباحث رئيسية وبعدة فروع اساسية الى جانب احتفاظها بعلاقتها بالعلوم المستقلة من خلال مايسمى بفلسفة العلم كما سنذكر ذلك لاحقاً.

ان مباحث الفلسفة العامة هي: الوجود او مابعد الطبيعة كذلك الفلسفة الطبيعية، ثم نظرية المعرفة، ثم مبحث القيم ويشمل فلسفة الاخلاق، والمنطق، وعلم الجمال، ثم يلحق بذلك مايسمى بفلسفات العلوم: فلسفة القانون، فلسفة الدين، فلسفة التاريخ، فلسفة السياسة، والاقتصاد وعلم النفس، علم الاجتماع، ومجمل تاريخ الفلسفة، علم التربية، علم اللغة وفيما يلي موجز عريض ومكثف عن هذه المباحث وعن بعض الفروع الملحقة بالفلسفة.

اولاً: مبحث الوجود ويشمل: مابعد الطبيعة والفلسفة الطبيعية:

مبحث الوجود (الانطولوجيا) يعني بالنظر في طبيعة الوجود على الاطلاق مجرداً من كل تعيين، وبذلك يترك للعلوم الجزئية البحث في الوجود من بعض نواحيه فالعلوم الطبيعية تبحث في الوجود من حيث هو جسم متغير، ثم تبحث في خصائص الاجسام دون النظر الى عناصرها، والكيمياء تبحث في تركيبها وردها الى عناصرها، والعلوم الرياضية تبحث في الوجود من حيث هو كم او مقدار سواء كان عدداً (علم الحساب) اوشكلاً (علم الهندسة) والعلوم النفسية تدرس الظواهر النفسية، والعلوم الاجتماعية تدرس المجتمع والترابطات الاجتماعية وليس بين هذه العلوم علم يدرس الوجود، بما هو وجود، أي الوجود بصورة كلية غير مفصل الى موجودات جزئية يدرسها هذا العلم الجزئي اوذاك، وهذا العلم يسمى عند القدماء مابعد الطبيعة،

او (الميتافيـزيقا) يدرس في مبحث (الوجود) خصـائص الوجود العامـة لوضع نظرية في طبيعـة العالم، والنظر فيما اذا كانت الاحداث الكونية والظواهر الطبيعية تقوم على اساس قانون ثابت اوتقع بالصدفـة، وفيما اذا كانت هذه الاحداث تظهر من تلقاء نفسها أو تصصدر عن علل ضرورية تجري وفق قوانـين معينة، وهذا البحث بالخصائص العامة للجسم الطبيعي، والوجود الطبيعي كان يسمى قديماً والى زمن نيوتن(بالفلسفة الطبيعية)كما كان (العلم الطبيعي) او فلسفة الطبيعيات عند القدماء جزء من الفلسفة النظرية، والى جانبها الرياضيات وما بعد الطبيعة ولآن استقلت مباحث العلوم الطبيعية، وحصرت المباحث العامة عن الوجود في الميتافيزيقا أو مابعد الطبيعة.

الميتافيزيقيا أو مابعد الطبيعة-

فرع من فروع الفلسفة يهتم بدراسة الكون والكائنات والانسان وصولاً الى فهمها وتفسيرها.

إذا كان المنطق يمثل ألة المعرفة - معرفة الحقيقة، ونظرية المعرفة تدرس طرق المعرفة وأساليبها ووسائلها - معرفة الحقيقة، فان الميتافيزيقا تتناول وتدرس الحقيقة ذاتها بها في ذلك الكون والعالم والكائنات والانسان.

أ- غاية الميتافيزيقيا:

ان العالم والكون من حولنا وحتى نحن البشر والكائنات المختلفة، كل هذه الاشياء تعبر عن تنوع وتعددية لاحد لها. فالانسان عندما ينظر من حوله يجابه بهذا التعدد والاختلاف بين الكائنات مما يصعب الربط بينه وتفسيره. ومهمة الميتافيزيقا محولة اختصار وتبسيط هذه الكثرة وتحقق نوع من الوحدة التي تجمع كل الموجودات في عدد قليل من الافكار والمفاهيم والمباديء والتصورات الذهنية.

ب - الاختلافات بين المدارس الميتافيزيقية:

تختلف المدارس فيما بينها من حيث:

١- النظرة الى جوهر الكون او الحقيقة الاساسية للكون:

- الواحدية:تعد جوهر الحقيقة واحداً وكل ماعداه مظاهر اوصفات لهذا الجوهر الواحد.

- الاثنينية: تقول بوجود جوهرين اثنين للحقيقة، اوحقيقتين اساسيتين لايمكن

ارجاع احدهما الى الاخرى.

- التعددية: ترى بوجود عدد غير متناه من الجواهر تتكون الاشياء باجتماع هذه الظواهر وتتلاشى باختفائها.

٢- النظرة الى الثبات والتغيير:

- فلاسفة الثبات او الكينونة - (مفهوم الكينونة مشتق من الفعل الناقص كان، يكون) يعد هؤلاء الميتافيزيقيون الحقيقة ثابته لاتتغير وان التغير وهم أو خداع أو مجرد مظهر لاأهمية له.

- فلاسفة التغير أو الصيرورة - (الصيرورة مشتقة من الفعل صار، يصير) يعد هؤلاء التغيير هما المعبرين عن حقيقة اوجوهر الكون وان الثبات الذي نشاهده من حولنا ليس ستار الحقيقة الصيرورة.

٣- اختيار الجوهر الاساس للكون:

- المثالية: نظرة ميتافيزيقية تعد الروح او الفكر او القيم المثالية (كالخير) اساس الكون وجوهره وكل ماعدا ذلك مظهراً ثانوياً للفكر او الروح.

- المادية: التي تعد المادة اساس او جوهر الكون ويمكن تفسير كل الاشياء الاخرى بأرجاعها الى المادة وقوانينها.

٤- النظرة الى العلاقة بين الذات والموضوع:

كان من تأثير ظهور المعرفة كفرع مهم من فروع الفلسفة في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ان تحولت النظرة الى الحقيقة والكون والعالم من الموضوع او الشيء الموجود خارج الذات الى الذات العارفة او المدركة. واصبح النظر الى الموضوع والى العالم عند بعض الفلاسفة من خلال ادراك ووعي الذات للموضوع والعالم. وقد عارضت الفلسفة الواقعية هذه النظرة وعدت ان العالم يوجد وجوداً مستقلاً عن ادراكنا له.

قلنا ان مبحث (الوجود) هو بحث الوجود بشكل مطلق، وهذا مبرر الحاجة اليه، لأن كل علم يبحث جزءاً من الوجود،(كما مثبت بالرياضيات والكيمياء) فلابد من علم

يبحث عن الوجود بشكل كلي. والفيلسوف الباحث في الوجود يرى الغابة غابة، وليست (اشجاراً منفردة).

ومبرر اخر لهذا المبحث هو: ان كل علم يستخدم مقدمات ومسلمات، ولايدلل عليها، فمثلا ان عالم الهندسة يبداء بمسلمات بديهية مثل ان الخطين المتوازيين لايلتقيان، وغيرها من بديهيات (اقليدس) المعروفة، وكلها تعتمد على افتراض المكان، دون البحث في ما هو المكان وما حقيقته والعالم في العلوم الطبيعية، يفترض وجود (المادة) ويضع قوانين، ويفترض قوانين (العلية) وعدم التناقض لكن ليس من مهمته دراسة حقيقة المادة اوصحة العلية والتناقض. فالذي يبحث هذه هو الميتافيزسقي او (علم الوجود) وكذلك بالنسبة لمفهوم الزمان.

ثانياً: نظرية المعرفة (ابستمولوجي):

يتضمن بحث (المعرفة) الجواب عن الاسئلة الآتية:

أ – ماالمعرفة؟ وهو سؤال عن نفس المعرفة

ب – بم احصل المعرفة؟ وهو سؤال عن اصل المعرفة ومنبعها

ج – هل يمكن تحصيل المعرفة؟ وهو سؤال عن صحة المعرفة وحدودها.

ليس موضوع المعرفة من صنع الفلسفة الحديثة، ففي كل الفلسفات السابقة سأل الفلاسفة مثل هذه الاسئلة، لكن كانوا يدرسونها من خلال مبحث الوجود، او من خلال بحثهم في الطبيعة وفي العالم الخارجي، اما في الفلسفة الحديثة – وكما سبق ان اوضحنا في فصل سابق – فان مشكلة المعرفة صارت اهم جزء من الفلسفة، وينظر الى مشكلة الوجود من خلالها.

تبحث نظرية المعرفة في امكان المعرفة أي الشك في (الحقيقة) او تيقنها والتفرقة بين العلم البديهي والمكتسب، او المعرفة غير المكتسبة والمعرفة المكتسبة من التجربة والبحث في شروط المعرفة اليقينية، والتفريق بين ماهو (فينا) وما هو (خارجنا) من المعلومات ومامنابع المعرفة، او كيف يتصل الادراك بالشيء المدرك مثلاً كيف ادراك ان هذا كرسي وانه ليس قطة.

نعود الى السؤال (أ) مالمعرفة؟: ونجد هنا مذهبين كبيرين عن هذا السؤال: الأول يقوم ان ماندركه بالحواس وعن طريقها بالعقل هو نتيجة شيء حقيقي موجود في الخارج مستقل عن ذهننا، شيء واقعي فالمعرفة على هذا المذهب هي ادراك الاشياء كما هي في الواقع بواسطة الحواس والعقل فالشيء اسود او حمرته لان به صفة جعلته اسود او احمر، فاذا إنعكس على عيوننا ادركنا سواده او حمرته وهذه الصفة موجودة محققة سواء رآه احد ام لم يره ويسمى هذا (مذهب الواقع) ويقابله مذهب(الظواهر)او(المذهب المثالي) الذي يرى ان مافي الخارج و(مافي الفكرة) مختلفاً اختلافاً كثيراً وعلى هذا فالمعرفة ليست ادراك الاشياء كما هي في الواقع ولاهي نسخة طبق الاصل كما يقول الواقعيون،بل هي ادراك الاشياء حسب ماتظهر لنا،وليس العالم الذي حولنا الانتيجة انتجها عقلنا،اما كيف احصل المعرفة؟ أي مامنبع المعرفة؟ فاجاب عنه كل من التجريبيين او الحسيين الذين قالوا: التجربة هي المنبع الوحيد للمعرفة اوفي الاقل اساسها، والتجربة نوعان:فاما ان تكون مستقاة من الحواس الظاهرة كالسمع والبصر، واما من الباطن، فادراك الاشياء الخارجية مثل رؤية هذا الكرسي الابيض فيسمى إحساساً. وادراك الاشياء الباطنية، مثل معنى (الكرسي، والبياض) فيسمى تأملاً. قالوا ولو انعدمت في الفرد الحواس كلها لما عرف شيئاً عما حوله او في داخله. ويقابل هؤلاء مذهب (العقليين) قالوا: المعرفة تحصل بالفكر والتعقل وان مايظهر للعقل بواسطة الحواس انما هو مظهر الاشياء الخارجي الخداع، الا ماهيتها التامة التي لاتحس فالحواس تخطيء، وهي ترينا الجزئي المفرد، بينما العلم والفلسفة لايقومان الا على العموم، وادراك العلاقات (السببية)وهذا لايتم بالعقل،ثم كيف نفهم مالايحس كالله (جل جلاله) والأبدية.وقد غلا بعضهم في معارضة التجريبيين وانكار دور الحواس والتجربة: فذهب الى انه لايصل شيء الى النفس من الخارج، ولايمكن للنفس ان تبتكر شيئاً اذا لم يكن من الاصل فيها أما اجابة السؤال: هل يمكن تحصيل المعرفة؟ أي هل المعرفة يقينية؟ فظهر في ثلاثة مذاهب: مذهب اليقين، ويمثله العقليون والتجريبيون فكلاهما آمن بان لنا قدرة على معرفة الاشياء. ويقابل هذا مذهبان ثان وثالث، فهو مذهب (الشك) واصحابه ينكرون امكان

المعرفة وقدرة الانسان عليها، ويعزفون عن ابداء أي رأي واما المذهب الثالث فهو (المذهب النقدي) فهؤلاء قالوا قبل ان نبت في يقين المعرفة أو عرضتها للشك، علينا ان نبحث في حدود المعرفة أي هل الحواس مثلا، وبنية (عقلنا) تستطيع معرفة الاشياء،فان كان فلأي حدود؟ وهذا ماقام به (عمانوئيل كانط).

أ-- نظرية المعرفة:

فرع من فروع الفلسفة يقوم بدراسة المعرفة الانسانية وانواعها ودرجاتها المختلفة وبيان امكانياتها وحدودها.

ب - درجات المعرفة:

للمعرفة درجات تبدأ من الشك والظن والحس وتمر بالادراكات العقلية وصولاً الى اليقين التام لايرقى اليه الشك، كالذي نحصل على نماذج منه في الرياضيات مثل ١+١ =وس =س يمثل اليقين، المعرفة الاكيدة التي لاتقبل الشك، النموذج الذي يحاول الانسان والعالم والفيلسوف الوصول اليه لكنه ليس دائماً سهل المنال ولهذا فانه بمثابة النموذج او المثال الذي يحاول الفيلسوف الاقتراب منه بقدر الامكان.

ويعني الادراك معرفة او استيعاب الموضوعات الحسية كالشجرة والبيت والكتاب اما الشك فهو عدم التصديق اوغياب اليقين وقد يكون الشك مرحلياً أي يمثل مرحلة للتوصل الى اليقين. واظن هو تلمس المعرفة وقد يمثل بداية عملية التعرف التي تبدأ من الاعتراف بالجهل للوصول الى المعرفة اليقينية.

انواع المعرفة الرئيسية - المعرفة انواع سنقتصر على ثلاثة منها:

١- المعرفة الحسية - تمدنا حواسنا المختلفة: السمع والبصر والشم والذوق واللمس بكثير من المعلومات عما حولنا من اشياء واحداث ولهذا فإن الكثير من الفلاسفة يعدون المعرفة الحسية التي تصلنا عن طريق التجربة مهمة اساسية ويعدها بعضهم المرجع النهائي للمعرفة . أي ان المعرفة، في رأي هؤلاء الاخيرين مهما بلغت من التجريد والتعميم يجب إرجاعها الى اصولها وبداياتها في التجربة الحسية. فيما يدعو فلاسفة اخرون الى الحذر في التعامل مع الحواس لأنها تخدعنا وتوهمنا احياناً

ويوردون من الامثلة على خداع الحواس والسراب وظهور العصا المستقيمة منكسرة لو وضعت في الماء وغير ذلك مما يطلق عليه خداع البصر والحواس.

٢- المعرفة العقلية - يعتقد بعض الفلاسفة أن العقل قسمة مشتركة بين الناس جميعاً، ويقوم العقل بعمليات كثيرة لايمكن ان تحصل المعرفة بدونها فهو يقوم بتنظيم الادراكات ومقارنتها وربطها وجعلها متماسكة ومنظمة. كما يقوم باستنتاج النتائج من مقدمات معينة او معلومات معروفة. فالعمليات الاستنتاجية المنطقية والرياضية كلها عمليات عقلية ويتوصل العقل كذلك الى ايجاد علاقات بين الافكار المختلفة وقد يعتمد العقل في عملياته هذه على معارف عقلية اخرى اوعلى معارف تجريبية. فعالم الاجتماع على سبيل المثال يدرس مجتمعات مختلفة عن طريق التجربة والمعايشة والملاحظة ثم يقوم بالتوصل عن طريق العقل الى اوجه الشبه او الاختلاف بين هذه المجتمعات.

لقد وجد بين الفلاسفة من يعتقد بأن العقل وحده يستطيع الوصول الى معرفة الحقيقة، كما وجد من يعتقد بأن التجربة وحدها تستطيع التوصل الى معرفة الحقيقة لكن الرأي السائد اليوم هو أن الانسان يمتلك العقل او الحواس الى جانب امتلاكه قابليات اخرى وهبها اللّه - سبحانه وتعالى - له وان معرفة الحقيقة لاتتم الابالاستعانة بجميع قابليات الانسان.

٣- المعرفة الحدسية - اذا كانت المعرفة الحسية تقوم على الادراك المباشر او غير المباشر عن طريق الحواس والمعرفة العقلية تقوم على التعميم او الاستنتاج العقليين فأن المعرفة الحدسية تقوم على الادراك الفني: مثل شعوري بروعة قطعة فنية او قطعة موسيقية اوتمثال فني اما الحدس الصوفي وهو المسمى بالمعرفة الذوقية أي معرفة الشيء بالقلب والشعور كما يقول الصوفيون.

ج- - حدود المعرفة:

اعترف كثير من الفلاسفة بوجود حدود للمعرفة الانسانية وواجه فلاسفة المعرفة مشكلة نسبية المعرفة التي تتحدد في ان الحقائق التي نعرفها تتأثر دائماً بطريقة عرضها وبالظروف المحيطة بها وبموقفنا الانساني منها: فالانسان لايمتلك في اغلب الاحيان

كل المعلومات التي تحتاج اليها فإنه لايستطيع ان يعطي احكاماً نهائية ومطلقة حول كثير من الاشياء. وفي كثير من الاحيان يكون التأثير في اراء الآخرين سهلاً اذا عرفنا وسائل تحقيق هذا التأثير.

ثالثا: مبحث القيم أو فلسفة القيم:

المقصود (بالقيم) تقويم الاشياء وتقديرها، لكونها وسيلتنا الى تحقيق الغايات، أو لكونها غايات في ذاتها. الاخير هو الذي يدخل في نطاق فلسفة القيم والبحث (القيمي) الفلسفي، وقد جرت العادة بردها الى ثلاث، الحق والخير والجمال، وتسمى هذه(القيم) (بالقيم الذاتية) في مقابل القيم الخارجية، فجمال الزهرة لذاته اما قيمة العربة فمرهون بما تؤديه من خدمات، والأخير (الخارجي) يستعيد من نطاق الدراسلت الفلسفية.

ان موضوع الخير هو علم الاخلاق او فلسفة الاخلاق وموضوع الجمال(هو علم الجمال او فلسفة الجمال). اما موضوع الحق والصواب فهو علم المنطق.

١- فلسفة الاخلاق:

علم الاخلاق أو فلسفة الاخلاق هو العلم الذي يضع الشروط التي يجب توافرها في الافعال الانسانية لكي تصبح موضوعاً خلقياً او هو العلم الذي يضع المثل العليا التي ينبغي ان يسير السلوك بمقتضاها فهو علم (معياري) أي (يبحث) فيما (ينبغي ان تكون) عليه تصرفات الانسان.

وفلسفة الاخلاق حقل من حقول الفلسفة يهتم بدراسة طبيعة السلوك الاخلاقي والاحكام الاخلاقية وشروطها وتهتم الاخلاق بالتوصل الى المبادئ العامة وامفاهيم الاساسية التي يقوم عليها السلوك الاخلاقي.

ونعني بالسلوك الاخلاقي. كل الاعمال التي يقوم بها عن قصد شخص واعٍ يمتلك حرية الاختيار ومعرفة بالنتائج المترتبة على العمل.

وتشمل مسائل هذا العلم مايأتي: (أ) اصل شعورنا الاخلاقي (ب) الباعث الذي يحملنا على إطاعة مايمليه علينا شعورنا الاخلاقي (ج) المقاصد او الاغراض أو

النتيجة الاخيرة التي نحاول ان نصل اليها باعمالنا الاخلاقية (د) المقياس الذي به نقيس اعمالنا فنحكم عليها بأنها خير او شر.

وبإختصار يختلف فلاسفة الاخلاق فيما بينهم حول طبيعة المبادئ والقيم الاخلاقية فيعدها بعضهم وضعية، أي ان الانسان هو الذي وضعها وانها تطورت من قواعد عملية قائمة على الفائدة والمنفعة الذاتية الى قواعد قائمة على المنفعة العامة لتصبح في النهاية مبادئ اخلاقية ثابتة لايمكن المساس بها.

فيما يعدها بعضهم الاخر نسبية اي انها تختلف من مجتمع الى اخر ومن شخص الى اخر، في حين يرى اغلب فلاسفة الاخلاق ان المبادئ الاخلاقية (معيارية) ومطلقة وغير نسبية وان الاختلاف بين الشعوب والعصور اختلاف لا يتعلق بجوهر المبادئ والقيم الاخلاقية وانما بتفسير هذه المبادئ وبقواعد السلوك والعادات والتقاليد.

اما كيف نقيس افعالنا؟ فرجعها فلاسفة الى القانون الذاتي (أي الى وجود القانون الاخلاقي في طبيعة الانسان، هو الضمير، أو الصوت الباطني أو صوت العقل ويسمون (بالعقليين) وهذا ماقال به فلاسفة عصر الثورة الفرنسية وكذلك (كانط) وقال بعض من هؤلاء انه ليس العقل وحده، بل (الشعور) الشعور (بألم) مختلف الشدة يعقب مخالفة الواجب.

وعلى الضد من هذا القانون الذاتي، القائلون (بالقانون الخارجي) اما اللّه أو عقاب القوانين المدنية الدنيوية، أو المجتمع أو الدولة، ويتصل بذلك مسألة الحرية والجبرية ومسألة الحق والقانون والعدالة.

فلسفة القانون:

وألحق بعضهم فلسفة القانون بفلسفة الأخلاق ثم اصبحت ذيلا ملحقاً بالدراسات الاخلاقية، من خلال البحث في العلاقة التي تربط بين القانون والاخلاق ثم دخلت فلسفة العلوم، ففكرة العدالة التي تقررها الدولة تختلف عن الفكرة الاخلاقية التي يكون فيها رأي في الاخلاقية - الالزام باطنياً عن الضمير أو يمليه العقل، بينما العدالة القانونية، أو في فلسفة القانون تتمثل في مجموعة من القوانين تفرضها الدولة على مواطنيها. وفصل (كانط) بين قانونية الفعل واخلاقيته (أي فصل بين فلسفة القانون

وفلسفة الاخلاق) ذلك أننا في (القوانين) يكون الاهتمام (بالظاهرة) مثلا إطاعة القانون بفعل أو عمل ظاهر، لاعلاقة للنيات، الا اذا سببت فعلا ظاهرة، فالدولة لاتعاقب الناس على (مايدور في داخلهم من خواطر اجرامية مثلا) أو (نيات) حسنة او سيئة.

لاتهتم فلسفة القانون اهتماماً مباشراً بالحقائق القانونية الجزئية، بل بالمبادئ الاساسية التي يفترضها علماء القانون، والنظريات العامة التي يضعها علم القانون الخاص. ويمكن تلخيص مسائل فلسفة القانون كما يلي:

أ – تبحث فلسفة القانون في المسلمات المعرفية والمنطقية التي يأخذ بها علم القانون، بما في ذلك المفاهيم العامة التي تستخدم في علم التشريع وفي غيره، والتي لايمكن تحديدها في علم جزئي. مثل مفهوم (الفعل) و (النية) و (الارادة) و (القصد) و (العلية) ومعنى (القانون) نفسه و(الحرية والاختيار) ومن مهمة فلسفة القانون ايضاً البحث المنطقي في المنهج الذي يتبعهُ الفقهاء أو المشرعون.

ب – بحث المفاهيم الاساسية التي يستخدمها علم القانون، والتي يختص بها عن بقية العلوم، مفهوم (العدالة) و (العقاب) و (التبعية) و (الشخصية) و (الملك).

ج– – بحث نظرياً القانون العامة: مثلا مالغاية من العقوبة؟ فقال بعضهم الغاية هي الردع، وقال آخرون هي الاصلاح، وقال آخرون هي الجزاء. وكذلك مالعدالة؟ وهنا نظريتان:

الاولى: مَن يُرجع اصل العدالة الى استعداد فطري او من مفهوم (الحرية الشخصية).

والنظرية الثانية: العدالة مجموعة قواعد للسلوك يجمعها نوع من الجزاء والتاريخ يضعها بحسب الظروف فهي تطورية وليس مرجعها الى العقل والنظر الصرف، بل مرجعها الى الواقع والخبرة الواقعية والتاريخ.

فلسفة الجمال:

حقل من حقول الفلسفة يهتم بتحليل طبيعة الجمال والموضوعات الجمالية من ناحية المنطق المتذوق والموضوع الجمالي. كما تقوم فلسفة الجمال بحل المشكلات التي تنشأ نتيجة تأملنا طبيعة الجمال والموضوعات الجمالية والفنية.

تقوم فلسفة الجمال بدراسة وتحليل مفهوم الجمال والقيم الجمالية كالبساطة والرشاقة والتناسق والانسجام، كما تتناول بالتحليل الموضوعات الجمالية الطبيعية، مثل منظر النخيل على ضفاف نهر الفرات، والموضوعات الفنية، مثل تمثال شهرزاد وشهريار ونصب الحرية، لبيان الجوانب الجمالية فيها. والقيم الجمالية انواع:

أ- شكلية ترتبط بالعلاقات بين عناصر الموضوع.

ب - مادية ترتبط بالمادة التي يتكون منها الموضوع.

ج- - تعبيرية ترتبط بالمعنى الذي يعبر عنه الموضوع. فلو اخذنا القصيدة الشعرية كمثال فان الجانب الشكلي يتعلق بوزن القصيدة فيما نجد الجانب المادي في الكلمات المسموعة او المقروءة في حين نجد الجانب التعبيري في المعاني والافكار التي تعبر عنها.وتتناول فلسفة الجمال التجربة الجمالية من ناحية الابداع عند الفنان وعند المتذوق الذي يستعيد عملية الخلق عند الفنان. ولايقتصر الابداع على الفن والادب وانما يتعداهما الى الفكر والفلسفة والعلم، فكل نظرة ونظرية جديدة وكل منهج وطريقة مبتكرة وكل تطبيق بروحية متنورة يمثل تجديداً واضافة وابداعاً.

فعلم الجمال هو علم يبحث في الشعور والاحساس واللذائذ التي تبعثها مناظر الاشياء، ويضع المستويات التي يقاس بها الشيء الجميل أي انه يبحث فيما ينبغي ان يكون عليه الشيء الجميل ومقابلة (القبيح) أي علم الجمال يبحث في الجميل والقبيح.

ويعالج علم الجمال المشكلات الآتية:

١- هل الجمال موضوعي أو ذاتي؟ او عم ينبعث الشعور بالجمال أي ماطبيعة الجمال؟

٢- مقاييس الجمال، او كيف وبماذا تميز الجمال؟

٣- العلاقة بين الفن والاخلاق، اوبين الجميل والخير،والجمال والخير.

٤- دور الفنون في محاكاة الطبيعة او تجاوز الواقع.

٥- مصدر الابداع الفني، واهم النظريات باختصار مفهوم.

فلنقل كلمة موجزة واضحة في كل هذا، أوبعضه :

١- الجمال موضوعي اوذاتي:

او ماطبيعة الجمال؟ عم ينبعث الشعور بالجمال؟ هل هناك جمال قائم بنفسه، او ان الشعور بالجمال يعتمد على مانجده في انفسنا في الشيء وكل مايظهر به الشيء امام اعيننا؟ توجد هناك اراء كثيرة، واهمها مدرستان: الاولى: تعد الجمال صفات او خصائص موضوعية موجودة في الاشياء الجميلة نفسها ومستقلة عن العقل الذي يدركها، والا لما اتفق في تذوقه والاستماع به جميع الناس في كل زمان ومكان فالجمال موجود في الاشياء حتى لو لم يوجد عقل يدركه. اما المدرسة الثانية فلا ترى للجمال وجوداً موضوعياً، بل ترده الى القوى التي تدركه، الجمال معنى عقلي وليس صفة عينية تقوم في الشيء الجميل مستقلة عن كل ادراك.

٢- مقاييس الجمال:

أو كيف نقيم ونميز الجمال؟ او تقويم الجمال: المقياس التي بها نميز الجمال ونقومه تسمى (بالذوق) وهي ملكة بها يشعر الانسان بلذة الجمال، منحها الناس على تفاوت فيما بينهم، ويرقبها التهذيب والمدنية في الفرد وفي المجتمع بدرجات متفاوتة إن الصوت الواحد أو المنظر الواحد لايؤثر في السامعين والناظرين تأثيراً واحداً وتسبب ذلك:

اولاً: إن الأوتار العصبية ليست سواء في التركيب عند الناس، مع اختلافهم في المزاج والتربية والعادات.

ثانياً: اختلاف الناس في درجة الرقي والعقلي، فالحواس لاتعمل وحدها في ادراك الحركات والاشكال والاصوات والالوان بل معها الفكر والشعور يربط بينها وينسقها، ويدرك علاقاتها، وهذا سرميل البدائيين الى الالوان الصارخة بخلاف ميل المتحضرين الى الالوان الخفيفة مثلاً. وهناك مدرستان في تقويم الجمال: بمعنى الى أي قوة فينا نرد تذوق الجمال هل الى العقل،أو الوجدان والعاطفة؟ فمدرسة العقليين تقول بالأول، وتوجب اخضاع روائع الفن الى قواعد عقلية وقوانين. والمدرسة الرومانسية أو العاطفية تؤكد العنصر العاطفي أو الوجداني في تذوق الجمال وتنكر امكان وضع قواعد للخلق الفني العبقري. الحكم على الجمال في نظر المدرسة الاولى

عقلي محض، وهو لايختلف عن سائر الاحكام الواقعية التي تصف الظواهر، أما المدرسة العاطفية فتقلل من دور العقل لأن الحكم الجمالي أو التقييم الجمالي هو مجرد وجدان بالجمال أو شعور أو حدس مباشر يسلم الى قلب الاشياء الجميلة.

٣- الفن وعلم للاخلاق: هنا رأيان (كبيران مهمان): من يعد هدف الفن هو هدف الاخلاق فيساوي بين (الخير والجمال) ويلزم الفن بخدمة الاخلاق وعكس ذلك من قال أن الفن يبحث عن الجميل، ولاشيء وراءه، المهم جمال شكل الفن أو (الشكل) أما الموضوع فليكن مايكون، ليكن رذيلة أو جريمة أو فضيلة.

٤- الفنون ميدان التعبير عن الجمال:

الطبيعة فيها جمال، لكن الفنون هي الوسيلة التي يعبر بها الانسان عن الجمال وشعوره بالجمال. وهنا تبرز مشكلة ما دور الفنان؟ هل هو مجرد مقلد ومحاك وناسخ لجمال الطبيعة، أو أن دوره إضافة الكمال والتعبير على مايمكن أن يكون وليس على ماهو كائن فقط؟

هناك عدة مدارس:

ا- المذهب المثالي في الفن أو مذهب الكمال:

على الفنان حسب هذا المذهب أن يعبر عما ينبغي أن يكون، ووضع وجدانه وعواطفه في أثره الفني وعدم الوقوف عند نقل الحقائق نقلاً حرفياً أو نسخ الطبيعة وجمالها كما هو واستبعاد كل خسيس ومنكر أو مبتذل من جمال التعبير الفني.

ب- المذهب الطبيعي او الواقعي:

يرى هؤلاء أن الطبيعة وحدها مجال الفن وعلى الفنان تقليد الطبيعة جهد الامكان، وملاحظاتها واغفال كل حقيقة، خفية واستبعاد الجوهر أو الماهية والا يتجاوز الواقع المشاهد من الطبيعة بأن يفرض عليها أو يضيف اليها من عنده، والمذهب الطبيعي يعتقد (موضوعية) جمال الطبيعة، ولذلك يقلل هذا المذهب من تدخل الفنان على عكس المذهب الرومانسي.

ج- المذهب الرومانسي :

الذي ظهر في أواخر القرن الثامن عشر ومابعده،وهو يؤكد جانب العاطفة

والشعور والوجدان، والفهم المباشر للطبيعة وجمالها، والتقليل من دور العقل، ويعتقد بأن للفنان دوراً مهماً في ادراك الجمال أو التعبير عنه وبذلك يتوجب تدخل الفنان في الطبيعة، وليس النقل فقط عنها: وهذا المذهب يكبر شأن الصدق في التعبير والتلقائية والخيال والعاطفة والاستخفاف بالعقل ومنطقة وأن يعبر الفنان بحرية كاملة دون إعتدادٍ بشيء أو التزام بقيد ايا تكن القاعد، للعمل الفني وماشبه.

٣- المنطق: اذا كان الخير موضوع فلسفة الاخلاق، والجميل موضوع فلسفة الجمال، فموضوع المنطق هو الحق او الصحيح. وقد عُرفَ المنطق: بأنه علم التفكير الصحيح او هو علم قوانين الفكر بصرف النظر عن موضوع الفكر، وهذا التعريف صادق صدقاً كبيراً بالنسبة للمنطق الصوري، المنطق الذي أسسه أرسطو والذي أستمر سائداً، الى أن ظهرت انواع من المنطق الحديث، المناطقة المحدثون لاينكرون أن المنطق هو علم التفكير الذي يمّيز بين الصحيح والخطأ، لكنهم يضيفون المنهج التجريبي، ولذلك صار المنطق عندهم علماً وصفياً بينما هو عند القدامى علم معياري، أي هو بحث فيما ينبغي ان تكون عليه التفكير الصحيح، ولذلك عدّه القدامى ميزاناً او محكماً للنظر، وأله ومدخلاً للعلوم، وهو الآن من صميم موضوع الفلسفة وسُمي المنطق القديم بالصوري، لأن موضوعه صورة العلم، اما قوانين الفكر فهي حسب المنطق القديم ثلاثة:

الاول: قانون او مبدأ الذاتية (أوالهوية) ومنطوقة: ان كل شيء هو، وبعبارة اخرى: الشيء هو نفسه (أ هو أ) (الوجود ليس هو اللاوجود) او زيد ليس هو لازيد المبدأ الثالث المرفوع الشيء اما أن يكون او لايكون (اما أو اما لا أ) اوزيد اما حي واما ميت ولايمكن ان يكون زيد حياً وميتاً في آن واحد، أو حاضراً أو غائباً في آن واحد. ولما كان موضوع المنطق أفعال العقل من حيث الصحة والخطأ، ولما كانت افعال، العقل ثلاثة هي التصور، والتصديق والاستدلال. صار المنطق يعني بهذه الاقسام الثلاثة:

١- التصوّر: وهو معرفة حقيقة الشيء من غير حكم عليه ينفي أو إثبات، وتندرج تحته دراسة الالفاظ من حيث ماهيتها وتعريفها. والتصّور أول أعمال العقل وهو

إحساس بالشيء وتصّور لمعناه، وهوإدراك لمفرد.

٢- التصديق او الحكم: وهو تطابق الفكر مع الواقع والحكم عليه صدقاً أو كذباً وتندرج فيه القضايا بأنواعها والتصديق او الحكم هو ان نقرن فكرتين او نفرق بينهما. أي أما ان نثبت وإما أن ننفي مثل: الفحم اسود، الفحم ليس بأسود.

٣- الاستدلال: وهو إنتقال عقلي من قضايا فرضت الى أخرى تلزم عنها، أي إستنتاج مجهول من معلوم وهو: اما استدلال مباشرة مثل استنتاج ان بعض الأفارقة مغاربة من قولنا ان كل مغربي افريقي، واما استدلال غير مباشر هو القياس ولابد فيه من وسط مثل قولنا: كل انسان فان، سقراط إنسان فسقراط فانٍ ونضيف ان هدف المنطق ليس الكشف عن الحقيقة من رياضية، وفيزيائية، وتأريخية، سايكولوجية، واجتماعية، فهذه مهمة العلماء المختصين في كل علم من هذه العلوم، ولكل علم اساليبه ومناهجه، اما الذي يهم (المنطق) فهو معرفة الشروط التي جعلت الحقيقة ممكنة الوضوح، لذلك وصفت المعرفة المنطقية بثلاثة أوصاف:

الاول: نوع من المعرفة التحليلية: أي معرفة ترتقي من ادراك الحقيقة الى معرفة شروطها.

الثاني: نوع من المعرفة النقدية تسعى الى تمييزها ماهو صحيح وماهو غير صحيح في تلك الشروط وأنه اكثر دقة في الوصول الى الحقيقة والتعبير عنها.

الثالث: المنطق نوع من المعرفة المعيارية، او القيمية فهو لايدرس التفكير كما هو ولاالواقع كما هو، بل يدرس الفكر الصحيح السليم، أي الفكر كماينبغي أن يكون ضمن الشروط التي تجعله منسجماً مع نفسه ومع الواقع. ومن هنا يختلف المنطقي عن عالم النفس والمؤرخ وعالم الطبيعة من حيث ان الآخيرين يدرسون الواقع النفسي والتاريخي والطبيعي، كما هو بالفعل، لا كما ينبغي ان يحدث او يكون، ودور المنطقي هم تتبع الخطوات الفكرية التي قام بها كل واحد من هؤلاء في سبيل وصولهم الى الحقيقة.

٤- فلسفة العلم:

وان كانت فلسفة العلم من نتائج تطور العصور الحديثة ممثلة بمحاولات الفلاسفة للاهتمام بالعلوم ودراستها من ناحية مناهجها ومنطقها وتحليل مكونات النظرية العلمية فإن الفلسفة منذ القدم اهتمت بالمعرفة العلمية وكان الفلاسفة الاوائل هو في

اغلبهم علماء أيضاً وفي عصر النهضة كان للحلول العلمية تأثيرها المباشر على الاتجاهات الفلسفية كما حدث بالنسبة لفيزياء (نيوتن) مثلاً. أو كما حدث ويحدث بالنسبة للكشوف الجديدة حول الذرة وبنائها، وأصبحت فلسفة العلم إختصاصاً مهماً من إختصاصات الفلسفة لايستغني عنه الفيلسوف ولاالعالم. وألامر ببساطة ان فلسفة العلم هو تفلسف حول العلم، ثم تشمل فلسفة العلم أية فلسفة أو تفلسف حول العام أو حول جانب من جوانبه، فاللمشتغل بفلسفة العلم أن يتناول الجوانب الميتافيزيقية للعلم (المتعلقة بما بعد الطبيعة) أي مايمكن ان يبني الفيلسوف حول تصور علمي للكون أوالمادة او الحياة من بناء يتصلّ بأصل الكون وطبيعته وأسبابه، وغاياته ولفيلسوف العلم أن يربطالعلم بألاخلاق والحق والجمال، ويجعله مشروعاً إنسانياً، وكذلك نجد ان لفلسفة العلم مجالاً أخر هو تأريخ العلم وماحصل من تقدم وحلول للمشكلات في سياقها الاجتماعي والثقافي الشامل ولفلسفة العلم مجال اخر وهو البحث في العمليات النفسية والعقلية التي تتعلق بالكشف العلمي، وما يقترن بها من القدرات الابداعية والخيالية الموجهه لحل المشكلات العلمية.

إن للإشتغال بفلسفة العلم شرطين:

ألاول: هو ان يكون فيلسوف العلم صاحب منهج وفلسفة يؤثرها بحيث يفسر طروحات العلم على (اساسها)

والثاني:أن يكون فيلسوف العلم مدركاً بأن العلم هو موضوع بحثه الفلسفي ومادته الخام، لتأكيد الحقيقة القائلة تبدأ الفلسفة من حيث تقف العلوم، ولنا في الانموذجين الاثنين مايكشف فلسفة العلوم (الانسانية).

١- فلسفة التاريخ:

تعني بتفسير مجرى التأريخ البشري كله على أساس نظرية عامة، فيمكن كمثال توضيحي ذكر نظرية الادوار الحضارية التي قام بها ابن خلدون او مايسمى بالتفسير العمراني او نظرية (التقدم)التي جاءت في القرن الثامن عشر محل نظرية العناية(الأوغسطينية) وتابع فيكو الذي قال بالمراحل الثلاث لتقدم العقل البشري ابن خلدون وطورها بعده اوكست كونت لاحقاً، فقال ان البشرية كلها مرّت بثلاث مراحل هي: المرحلة الخرافية، فالفلسفة (اوالميتافيزيقية)، واخيراً المرحلة العلمية: حيث تبدأ المرحلة الثالثة العلمية من بداية القرن التاسع عشر الى مابعده. ويبقى ابن خلدون هو الواضع الحقيقي لفلسفة التأريخ حين قدم في (مقدمته) تفسير التاريخ والحضارة

والعمران على اساس التفسير البيئي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي معاً في ضوء ظروف (المجتمع الشرقي) فلسفة التأريخ تضع لعلم التأريخ أساس فلسفياً بتمحيص المنهج الذي يضعه المؤرخون تجريبياً كان أم استنباطياً، ومناقشة وتحليل المصادر التأريخية، ودراسة المصطلحات العامة التي يستخدمها المؤرخون مثل العلّية (العلة والمعلول) والغرض أوالغاية، والقانون وغيرها. ولاتعني فلسفة التأريخ بمجرد سرد الوقائع، بل ترى أن الإنسانية تسير بمقتضى قوانين ثابته تتخطى الزمان والمكان ولاتجري وفق الاهواء والمصادفات، ثم كانت مهمة فلسفة التأريخ أن تكشف عن هذه القوانين التي تفسر تأريخ البشرية موحداً في كل اوضمن خطوط متوازية ومن أشهر فلاسفة التأريخ ابن خلدون، وفيكو وهيجل واوكست كونت، وماركس وتونبي، وآخرون.

٢- فلسفة الدين:

ينبغي التمييز هنا بين فلسفة الدين وبين (اللاهوت) فالآخير يبحث في فلسفة هذا الدين المخصوص أو ذاك (مثال علم الكلام المسيحي، وعلم الكلام الاسلامي). أما فلسفة الدين فتعني (بدراسة) وتحليل المفاهيم العامة التي تستعملها (الاديان) وإذا كان علم الكلام يحاول الدفاع عن عقيدة هذا الدين أو ذاك بالحجة والمنطق، فان فلسفة الدين ليس لها هذا الغرض المحدود او (المقصود) إنها تبحث الظواهر العامة للتدين، والمفاهيم الكلّية بين الناس التي تستخدمها علوم الاديان الخاصة، ودراستها دراسة نقدية. لقد كانت فلسفة الدين في الماضي جزءاً من الميتافيزيقا، ثم استقلت عنها. وقد أخذ البحث في فلسفة الدين في السنوات الاخيرة ثلاثة إتجاهات مهمة: الاتجاه التأريخي وغايته دراسة اصل الاديان وتطور الفكرة الدينية، والاتجاه السيكولوجي المعرفي، وغايته وصف الحالات النفسية التي تبنى عليها الحياة الدينية، والاتجاه الفلسفي، ومهمته المطالبة بأدلة تبرز النظريات والعقائد الدينية.

أسئله الفصل الثالث:

س ١ :ماموضوعات الفلسفة الرئيسية أو حقولها؟

س ٢ :ماالمقصود ببحث الوجود؟

س ٣ :مانظرية المعرفة؟

س ٤ :قارن بين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية، وكيف تختلف المعرفة الحدسية عن كل منهما.

س ٥ :اعط امثلة على خداع الحواس، هل يجعلك، ذلك تتوقف كلياً عن الاعتماد على حواسك؟

س ٦ :ماالمقصود بفلسفة القيم ومافروعها؟ مع الكلام على واحد منها؟

س ٧ :تكلم عن فلسفة الجمال.

س ٨ :ماالنظريات المفسرة للابداع الفني؟

س ٩ :ماالمراد بفلسفة التأريخ؟

س ١٠ :عرّف المنطق، وحللّ التعريف، وبين اهميته.

س ١١ :ماذا نقصد بفلسفة القانون؟

س ١٢ :ماالمقصود بفلسفة العلم؟

س ١٣ :ماالفرق بين فلسفة الدين وبين اللاهوت؟

س ١٤ :ماالميتافيزيقا، وماهم مدارسها؟

الفصل الرابع

عرض تأريخي للفلسفة في الحضارات القديمة

اهمية تأريخ الفلسفة:

توفر لنا دراسة تأريخ الفلسفة إمكانية فهم مسيرة الفكر الانساني وقوانينها واستيعاب التجربة التلأريخية العظيمة تجربة معرفة الانسان للعالم. ويطلعنا تأريخ الفلسفة على كيفية ظهور اشكال الفكر النظري ومقولاته وعلى طرائق المعرفة العلمية، ويعلمنا الطريقة الصحيحة في التفكير واستخدام هذه المعرفة لتغيير العالم. يقول احد المفكرين ان التفكير النظري خاصة غريزية، لكن على شكل ملكة أو (استعداد) فقط، ملكه يجب تطويرها وصقلها، وليس هناك، حتى الآن وسيلة لذلك سوى دراسة فلسفة الماضي كلها: إن تأريخ الفلسفة العلمي يكشف عن جذورها المذاهب الفلسفية، والاسباب الكامنة وراءها ويزرع في نفوس البشر الامل والثقة بقوة العقل الانساني وقدرته على معرفة العالم وقوانينه، والى جانب الاهمية المعرفية تكتسب دراسة تأريخ الفلسفة اهمية سياسية عملية وتربوية ايضاً، فهي تساعدنا على اغناء ذاكرة الانسان بالمعارف الفلسفية التي ابدعها الانسان خلال مسيرته الطويلة، وعلى استيعاب وتطوير احسن تقاليد هذا الفكر ويعطي للانسان الدليل والنموذج والقدرة ليحقق خاصيته الاساسية وهي الفكر وحب المعرفة.

إن إغفال ماضي التفكير مستحيل في الفلسفة لأن تأريخ الفلسفة هو فلسفة يبدو في تجدد وتطور متصل، والمشكلات التي اثارها القدامى من الفلاسفة لم تزل باقية، وستظل باقية، لم تتغير موضوعاتها وان طعمها البحث بخواص جديدة.

المراحل او التقسيمات الرئيسية لتأريخ الفلسفة:

جرت كتب تأريخ الفلسفة في الغرب وعند معظم كتابنا القدامى، والى وقت قريب بابتداء تأريخ الفلسفة باليونان (القرن السادس ق.م) فلا يفردون ولو صفحات للفلسفة

العربية الاسلامية، ويجزمون بغياب (فلسفة) في الشرق القديم (الصين والهند ووادي الرافدين ومصر). اما نحن نعترف بوجود فلسفة في الشرق القديم (في الصين والهند ووادي الرافدين ومصر). ولكننا بسبب ضيق المجال سنقف في هذا الفصل والفصول الأخرى على:

١- الفلسفة الشرقية في وادي الرافدين والنيل.

٢- الفلسفة اليونانية والفلسفة الرومانية.

٣- الفلسفة الاسلامية.

٤- الفلسفة الحديثة، وتبدأ بعصر النهضة الأوربية فيما بعد.

اولاً: النزعات الفكرية والفلسفية في الحضارات القديمة (وادي الرافدين ووادي النيل): لقد عرف (وادي الرافدين ووادي النيل) منذ القديم بعراقته الحضارية واصرار انسانه على (خلق الحياة) وتطويع الطبيعة الصالحة. وسنستقر هنا على نموذجين من المراكز القديمة واعني بهما (وادي الرافدين ومصر القديمة (وادي النيل)).

١- النزعات الفكرية والفلسفية في وادي الرافدين: ترقى حضارة وادي الرافدين الى العصر الحجري، وتعد الحضارة السومرية اهم الحضارات القديمة، هذه الحضارة السومرية وليدة الماء والتراب، فقد أمن هذان العنصران للجماعات المستقرة مابين دجلة والفرات ماتحتاج اليه من تربة صالحة للزراعة وطين للبناء وصنع الاواني الخزفية واجر للنقش والكتابة، فلاعجب ان جعل السومريون الانسان مجبولاً من ماء وطين. ثم عايشتهم الجماعات التي خرجت من الجزيرة العربية كالاكاديين والآموريين وغيرهم واستقرت بعد تنقلات عدة، مابين النهرين في بلاد سومر وبلاد الشام ومصر، وكان حمورابي (١٧٩٨ ق.م - ١٧٥٠.ق.م) سادس ملوك سلالة بابل الاولى، من اكثر الملوك عناية بالقانون والتشريع والعدالة.

احتوت الوثائق (الآثار) المكتشفة من باطن الارض (التنقيبات) في الكثير من الافكار الفلسفية التي تدور حول الوجود (الكون) والحياة(الانسان) نجدها في (قصة الخليقة) و (ملحمة جلجامش) وغيرها من نصوص وصلتنا باللغات الاصلية القديمة.

ويمكن تقسيم هذه الافكار الى ثلاثة اقسام:

أ- الافكار الفلسفية الكونية والطبيعية:

ارتبط الفكر الفلسفي في وادي الرافدين بالخطوات الاولى للعلوم الطبيعية، بالفلك والرياضيات من جهة والأسطورة من جهة ثانية. وقد تطلب تطور الزراعة والري والبناء ضرورة توسيع المعارف العلمية، وتطبيقها في الحياة العملية. وكانت الاحتياجات الحياتية، وراء ضرورة وضع تقويم دقيق مبني على رصد حركات القمر والشمس والنجوم، مما اسهم في تطوير العلوم ، فوضع البابليون اسس الجبر والهندسة واوجدوا طريقة تقريبية لحساب الجذر التربيعي، وعرفوا كيفية حل المعادلات من الدرجة الثانية، كما اخترع البابليون النظام (الستيني) في الحساب الذي مازال مستعملاً لليوم في جميع انحاء العالم (الساعة = ٦٠دقيقة، الدقيقة = ٦٠ثانية).

عبرت المحاولات التأملية الفلسفية الاولى في وطننا عن المحاولات الاولى للمفكرين العراقيين القدامى، وخاصة مايتعلق بفهم الظواهر الكونية والتعبير عن هموم الانسان وتصوراته، وأدت دوراً كبيراً في نشوء الفكر الفلسفي لسكان وادي الرافدين وبالتدريج تحولت الاساطير الى معتقدات فكرية وفلسفية عن اصل العالم وظهور موجوداته تباعاً. وفي هذا الصدد يزخر الادب الرافدي بقصص الخليقة وقصص البحث عن الخلود والتفتيش عن الحياة والاشياء ونكتفي باعطاء صورة شاملة حول الخليقة، فالعقائد العراقية القديمة تضع الماء كأصل الموجودات. اما البحث عن سر الحياة والخلود فملحمة كلكامش معروفة لكل قارئ، حيث طفح كلكامش بعد موت صديقه (انكيدو) الذي اذهله وحيره موته يفتش عن كيفية اعادة انكيدو الى الحياة، ويفتش عن مرهم ينقذ الانسان من الموت الملحمة ترقى الى الفكر الفلسفي العميق، وان كانت لاتعبر عنه بالمنطق والصياغة الفلسفية المنظمة التي نضجت لاحقاً واعظم ماقدمه اجدادنا للانسانية اكتشافهم الكتابة والتدوين ونجاحهم في تحويل (الافكار) الى (رموز) تحفظ على الطين المشوي لآلاف السنين.

حاول هذا الفكر الاجابة عن سؤال: مااصل الوجود وسببه، وكيف وجدت الموجودات. لقد اتفقت المصادر العراقية القديمة على حقيقة كونية: إن (الموجودات) كافة ومنها (الانسان) جاءت عن طريق (الولادات) فلاشيء يخرج من غير سببين

اثـنين(اب وام)،(ذكـر وانـثى) لـذلك عـدوالاصل الاول في المـوجـودات والجـوهـر الاساس لها هو (الماء) المركب من عنصـرين(ذكري وانثوي) تفاعلاً فيما بينهما بفضل قوة كامنة في الماء قادرة على بعث الحياة وتكوين الموجودات ليجد كل (موجود) نفسه محتـاجاً الماء في كل حين فلا يستطيع الانسان، ولاالحيوان ولاالـنبات العيش من غير الماء. لـذلك (كان المـاء ولم يكن شيء ومن الماء جـاءت الموجـودات) وهي حقيـقة ثبـتها القرآن الـكريم لاحقاً بوضـوح حين نص علـى سرّ قوة المـاء وحيويـته بقـوله تعالـى:؟ وجعـلنا من الماء كل شيء حي) ؟الانـبياء اية ٣٠ (كما شـهدت النـصوص (الاثرية) و (المقدسة) على خلق الانـسان من صلصـال من طين، مـأخوذ من اعمق اعماق المحيط، دلالـة على طهـارته، لذلك جـاء الانسان – في طـبيعـته – نقـياً غيـر دنس ولـهم في هذا الموضوع اراء مستيقـضة لامجال لذكرها هنا، ان خلاصـة التفسير الكوني في العراق الـقديم – بعـد ازالة المسـحة الملـحمية (١ (– تقول لـنا: هذا الـكون (دائري) مـنظم يتسم بـالحيوية والنشاط بـالحيوية والنشاط. كل شيء فـيه يجري من اجل (هدف) هو طاعة (الالهة) وصـولاً الى سعادة الانسان. وان مايحدث على الارض (النصف الاسفل من كـرة الوجود الـكاملـة) مرده، الى اسباب موجـودة في السمـاء (النصف الـعلوي) من دائرة الوجود وعلى هـذا الاساس منحوا الوجود صفـة الكمال، انطلاقاً من ايمانهم ان الـدائرة هي اكـمل الاشـكالالـهندسـيـة ومجـمـوع درجاتـها (٦٠٣٥ (بـزواياه الاربع القـائمة. والمتطابـقة مع بعـض في نقطـة مركزيـة تبعد بمـسافات واحـدة هي (الاقطار وانصاف الاقطار).. الهندسية.

ب – الافكار الاخلاقية والاجتماعية:

اما مسـائل الخير والـشر والعـدل والظلم والحق والـباطل والسـعادة والشـقاء التي تحـدثت عنا الـوثائق العـراقية الـقديمة، مـثل = (لامجدان رب الحـكمة = صـبر ايوب) و(مسلة حمورابي) و (اصلاحات أوركاجينا)

و(حكـمة احـيقار) و (جـزيرة الـسعـادة والخلـود دلمون) فـهي مـوضـوع (الـفلـسفة الاخلاقية) في المـصطلح المـعاصر. حـيث آمن المفكـر العراقي الـقديم بالـطبيـعة الخيرة

للانسان، تارة، وبنـزعات للشر، لحقت به، فكانت وراء ظواهر الظلم والشقاء، تارة اخرى ولانريد التوسع بالحديث عنها، فهو طويل ومسهب لكنهم – عموماً – توزعوا على رأيين:

الاول: قال باجتماع نزعتي (الخير والشر) في الانسان بسبب تكوينه الاول.

الثاني: يقول: ان الانسان خير في طبعه كما خلق من (طين طاهر) لكن الشر لحقه من البيئة الاجتماعية التي تتأثر سلباً وايجاباً بالظروف العامة والمحيطة بالانسان والمجتمع.

لقد ادرك المفكر في وادي الرافدين بعقله وبصيرته وتجربته – انه كائن مصيره (الموت) ولكي يتجاوز خوفه من الموت، اتجه الى (البناء) والقيام بالاعمال الجليلة والمنجزات الكثيرة خدمة للبشرية وتأكيداً لفكرة (الذكر الحسن) فالانسان الذي لاينساه الناس، ولايهملهالتأريخ هو كل من وظف قدرته العقلية، وامكاناته البدنية، في خدمة بني جنسه. والارتقاء بهم الى موقع افضل في سلم الحضارة والتقدم ولايتحقق ذلك الابتجنب الظلم واسبابه ونتائجه فردياً واجتماعياً.

ومن اجل (منع) الدوافع الشريرة في بعض النفوس (الجاهلة) جاءت (السلطة) الرادعة – بكل اشكالها – (اجتماعية، دينية، سياسية) لكي تحمي الضعفاء من ظلم الاقوياء مالاً وجاهاً وسلطة. كما شرعت القوانين لضمان حرية الناس وامنهم وحقهم في العيش الحر الكريم، ولتحديد العلاقة بين افراد المجتمع ومؤسساتهم تلك هي الاهداف المشتركة للمفكرين في وادي الرافدين، كما وصلتنا اقدم اصلاحات انسانية هي (اصلاحات اور كاجينا) (ق٤٢ ق.م) التي تحدثت عن (الحرية = امارجي) و (المساواة) من اجل ان يعيش الفقير الى جانب الغني، عيشة كريمة راضية، متعاونين على شؤون دنياهم في نسيج اجتماعي متماسك.

اما في (ملحمة جلجامش) فيكفي المفكر في وادي الرافدين فخراً، أنه تناول جميع الموضوعات الفلسفية الانسانية، بما يتوافق وظروفه الحضارية والقيم الاخلاقية لذلك افتتحت هذه الملحمة الخالدة بمواقف فلسفية واضحة تتحدث عن العمران والحكمة لتقول للانسان في كل العصور والدهور ومنذ (٤٤) قرناً.

هو الذي رأى كل شيء - فغنى بذكر يابلادي.

هو الذي عرف جميع الاشياء - وأفاد من عبرها.

هـو الحكيم العارف بكل شئ.. الخ - لـتنتهي بعـد استعراض محنـة الانسان والفناء والشرور. ومواجهة الصعاب الى اعلان النتائج الآتية:

الأولى: انتصار الانسان على الخوف والتردد والضعف والفردية المقيتة.

الثانـية: التفاؤل بالحياة والمستقبل، علـى الرغم من وجـود الموت فكأنـها تـقول للانسـان الفـاني حارب خوفك من المـوت، بالـعمل الـصالح والـتعاون، والـقول المفيد والفعل الحميد والخلق الـفاضل، ورفض الشر والنقص والظلم، فأنك بذلك، تعيش ابداً فـالشجاع كما تقول الـملحمـة على لسان (جـلجامش) هو الـبطل البـاسل، الذي يكتب له اسـماً بين اسماء الخـالدين، وبهذا حسـمت الملحمة مـشكلة (المصـير) حسماً ايـجابياً. حين قالت للانسان بامكانك ان تخلد. لوقدمت للآخرين خدمة جلّى، انه الذكر الحسن الذي تلـهج به الالسن. بعـد موت الانسان، الـذي يفنى كجـسد، ويخـلد كتأريخ، تـتحدث عنه الاجيال.

اما فكرة (العدالة) وسعي الانسان من أجلها فلقد نظمتها (الشرائع) العراقية **القديمة،** مثل شـريعة اورنمو (القرن ٢٢ق.م) ولبث عشتار (القرن ٢٠ق.م) وغيرها وصـولاً الى مسلـة حمورابي (١٧٥٠ق.م) اذ جعل الاخير،تحقق العـدالة ونشرها مهمة الحاكم العادل والـقاضي المنصف والانسان العاقل حيث المجـتمع السعيد الذي هو هدف الالهه والانسان .

٢- النزعات الفلسفية والعلمية في وادي النيل:

يـعود ظهـور الحضـارة في مصر الـقديمة الى الالف الـرابع ق.م ففي حقل الـنظر الى الكون والمعرفـة النظرية نجـدهم ينظمـون العلاقات بين الالهه والـبشر، وظهـرت عنـدهم فكـرة الاله الواحـد، والايمان بحـياة اخـرى يكون فـيهـا الثواب والـعقـاب بعد الموت مرهونـاً بالسلوك والطهارة الخلقية في الـدنيا، وليس بطقوس شكلية فقط وعدوا النفس مغايرة للجسد، وخالدة والاهرام والتحنيط هما نتيجة لهذه الفكرة، وهكذا وضع

المصريون الاسس للعقيدة بثنائية الكون والانسان فهناك اله او الهه تقابل الكون المادي، وهناك نفس بشرية تقابل الجسم. وتوجد عندهم تفسيرات تتخذ شكل الاساطير لنشأ الكون، ويغلب عليها وصفهم للماء (نون) كأصل للموجودات، ومنه ظهر ت الالهة التي هي تعبير عن قوى طبيعية كالحرارة والرطوبة، كما تتكلم احدى هذه الاساطير عن (فتاح) الاله الذي يوجد الاشياء عن طريق الكلمة (كن) وهي فكرة تذكرنا بفكرة الكلمة في المسيحية او امر التكوين في القرآن الكريم ?(انما قولنا لشيء اذا اردنا ان نقول له كن فيكون) ?النحل .

كان لسكان مصر القديمة، دورهم الحضاري (الفكري والعلمي) المتميز، فلقد وصلتنا المصادر الاساسية للفكر المصري القديم، مثل (البرديات) و (كتاب الموتى) والنصوص الهيروغلوفية، ونص (منفس) عن الخلق وهي تحوي معلومات كونية وافكاراً اخلاقية، اجتمعت حول محور واحد (كوني) يقول. بأثر (الكواكب) في حياة الانسان لاسيما (الشمس والقمر) بل ان تشابهاً في بعض تفصيلات النظرة الكونية المصرية مع التفسير العراقي لاصل الاشياء وجدناه في (نص مدينة منفيس) الذي حاول المفكر المصري من خلاله، ان يقدم تحليلاً فلسفياً وتفسيراً عقلانياً لاصل الوجود والخلق، مقترناً هو الاخر (بالماء) وبالاله (فتاح) و (بالكلمة) التي القاها في الماء فكانت (الاشياء) حيث خلقت الموجودات بطريقة سببية (توالدية) تقرن ظهور الشئ بسببين اثنين يسبقانه، ويكونان سبباً في وجوده (الذكر والانثى) وان اكتسى هو الاخر بمسحة (اسطورية) على عادة المفكرين والحكماء القدامى لكي يحيطوا افكارهم بهالة مقدسة ذات مضمون اخلاقي وتربوي تحث الجمهور على التمسك بها واحترامها والمحافظة عليها. لقد عالج الفكر المصري القديم، الجانب الاخلاقي من خلال نصوص (الحياة الثانية) الواردة في كتاب (الموتى) وهي تحذر الناس من مغبة الافعال الشريرة فليس لامرئ من نجاة في الحياة الثانية إن هو اقدم على خطيئة في هذه الدنيا فالحساب والقصاص ينتظرانه. كما هو المنطوق العقيدي لاحقاً ولما كانت فكرة الموت (الفناء) قد وجدت علاجها في الفكر العراقي القديم (الخلود المعنوي) الذي يتحقق لاصحاب الاعمال الجيدة والافعال المجيدة، ممثلاً (بالذكر الحسن) فان المفكر المصري القديم.

عالج فكرة (الموت) من خلال التجسيد المادي للخلود. بواسطة انجازين علميين كبيرين ونقصد بهما (التحنيط) في علم الطب. و(الاهرامات) في علم الهندسة والفلك، لاسيما (للفراعنة) الذين ارتقوا في الفكر المصري الى مرتبة (الالوهية) والتقديس الى ان خرج عليها الملك (اخناتون = امنوفيس الرابع) زوج (نفرتيتي) بفكرة التوحيد، وعبادة الكواكب، حيث توافقت حركته مع مرامي ابراهيم الخليل (ع) التوحيدية وهو يدعو (للاله العلي العظيم) من ارض بابل. وان اختلفت تفصيلات الدعوتين في مصر عنها في العراق، حيث انتشرت من هنا الى بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية لتستقر في(بيت اللّه) الكعبة المشرفة، رمز التوحيد والوحدة في الوطن العربي، التي تطهرت لاحقاً من الاوثان والاصناف بفضل ثورة الاسلام بعد سلسلة من الديانات الموحدة التي اعقبت (الحنفية الابراهيمية) اما بلاد الشام فبقيت ساحة تفاعل فكري، وبوابات نشاط تجاري، تؤثر فيه فعاليات العراق والجزيرة ومصر تطل منها نوافذ التأثير في شعوب الجزر الواقعة في البحر المتوسط وبلاد اليونان، وبلاد الحيثيين، فكان لها دور الوسيط الحضاري الذي نقل اجوبة المشرق العربي الفلسفية الى الشعوب الاخرى لاحقاًلتستفيد منها في بناء حضارتها وعلومها: كما كان لليونانيين لاسيما بعد سقوط بابل سنة ٥٣٩ق.م امام الأخمينيين.

الفلسفة اليونانية:

اواخر القرن السابع واوائل القرن السادس ق.م ظهرت هذه الفلسفة اليونانية اولاً على الساحل الغربي لاسيا الصغرى في ايونية، ثم في ايطاليا وفي المدن الساحلية لجزيرة صقلية. واخيراً في اثينا ذاتها في القرن الخامس ق.م حيث بلغت أوج ازدهارها في القرنين الخامس والرابع ق.م.

اما اسباب ظهور الفلسفة اليونانية فهي على سبيل التعداد لاالشرح، وذكر اهم العوامل (لاكلها):

١- التقدم السابق الذي حققته حضارات وادي الرافدين ومصر، والحضارة الفينيقية وحضارات بحر ايجه.

٢- الموقع الجغرافي والتجاري، الخاص بجزيرة ملطية في آسيا الصغرى حيث هي

موقع تجاري مع الشرق وقربها من مواطن الحضارات القديمة السابق ذكرها. وهي احدى الجزر الاثنتي عشرة التي تتكون منها (ايونية) في آسيا الصغرى.

٣- الوضع السياسي والفكري. حيث سادها السلم مع معاهدة جيرانها.

٤- حرية الفكر خصوصاً في أثينا ولم تكن هناك فلسفة مركزية تفرض على المفكرين منظوراً محدداً بل كانت عقائدهم مجرد طقوس وعادات، فكان على الانسان ان يضع لنفسه تصوراته وراءه حول الكون والانسان.

لوتذكرنا السبق الحضاري (الفلسفي والعلمي) القديم في العراق ومصر ادى سقوط بابل سنة ٥٣٩ق.م الى تراجع ادوارهم. ووصلنا الى القرن السادس قبل الميلاد، وجدنا النشاط الفكري لأبناء المستعمرات الشرقية الخاضعة لليونان، يدور حول (اصل الكون والوجود) مدفوعين كسابقهم من حكماء الشرق . بسؤال فلسفي عن (الجوهر) الكامن وراء الموجودات، متأثرين بشكل اوبآخر بالأجوبة (الفلسفية المصرية والعراقية) الى جانب استفادتهم من الانجازات العلمية المختلفة في الطب والرياضيات والفلك والفيزياء، والملاحة للصلة المباشرة التي تربط سكان الجزر اليونانية والساحل الشمالي للبحر المتوسط، بسكان الساحل الشامي والشمال الافريقي، تجارياً وحضارياً وعسكرياً. واكثر من ذلك نجد العديد من محبي العلم والمعرفة. الاجانب يأتون الى مراكز الحضارة في وادي الرافدين ووادي النيل للتزود بالعلم والمعرفة والعودة الى بلدانهم (المتخلفة) ويكفي دليلاً على ذلك، أن اول فيلسوف يوناني هو (طاليس) أخذ العلم والحكمة من حكماء (بابل) وعلمائها.

(بابل) الى سيطرة الأخمينين سنة (٥٣٩ق.م).

ويمكن تقسيم الأجوبة الفلسفية اليونانية بحسب تطورها التأريخي الى ثلاث مراحل كبرى سندرسها بايجاز:

المرحلة الأولى: الفلسفة اليونانية الى سقراط:

أ- فلاسفة يدرسون العالم الخارجي:

السؤال الكبير هنا هو: ماأصل الاشياء؟ وهل يوجد تغير وكثرة؟ وعلى اساسه يمكن رسم المدارس المتعددة حتى يجئ السوفسطائيين، وهذه المدارس هي المدرسة

الايونية، والمدرسة الايلية، ومدرسة الكثرة، والمدرسة الفيثاغورية والمدرسة الذرية - فاما المدرسة الايونية نسبة الى ايونية في آسيا الصغرى فأجاب فلاسفتها عن السؤال المذكور انفاً وحاولوا الاجابة عنه اجابة فلسفية علمية، بان أصل الاشياء عنصر واحد أوشيء واحد هو المادة الاولى لكل شيء، وهذا العنصر هو اما الماء، أو الخليط المتعادل من كل شيء، أوالهواء أو النار واعترفوا بوجود كثرة حقيقية وتنوع في الأشياء، وبوجود تغير، مع أن الاشياء كلها اصلها هذا العنصر الواحد. وهنا رفعت (المدرسة الأيلية) [1] الاعتراض الآتي:

كيف تكون الاشياء متنوعة وكثيرة، وكيف يوجد تغير، اذا كان اصلها، وتكوينها من عنصر واحد؟ عليه لابد من أن يكون واحد من اثنين: اما انكار كل تغيير وكل تنوع وكثرة، والقول باصل واحد ووجود واحد، وهذا ماقال به فلاسفة ينتمون الى ايليا جنوب ايطاليا، فتكونت على اساس قولهم هذا المدرسة الايلية، التي انكرة كثرة وتغير وقالت أن هذا من فعل المعرفة الحسية الكافية والمظاهر الخادعة، أما المعرفة الحقة التي يوصل اليها العقل فهي أن الوجود واحد سواء كان كرسياً أم شجرة، فالوجود هو الصفة الجوهرية للاشياء، واما الأختلافات بين الاشياء فهي اختلافات عرضية والمدرستان تسميان مدارس الوحدة، أما المدارس الأحادية.

أما الحل الثاني للاعتراض السابق فهو قبول الكثرة والتغيير حيث لاينكرها الامكابر ولكن على شرط القول بأن اصل الاشياء ليس واحداً بل اصولاً وعناصر كثيرةً وهنا ظهرت (مدرسة الكثرة) فأختار احد فلاسفتها القول ان هذه الاصول هي اربعة (الماء والهواء والنار والتراب) وقال فيلسوف آخر أن هذه الاصول هي بذور أو ذرات لامتناهية في الصغر، وفي كل جزء منها صغر، نسب من كل شيء من الشعر والدم واللحم الى آخره وفي الحالتين سواء قلنا بالعناصر الأربعة أوبالذرات، فأن الاشياء تتكون من تجمعات مختلفة من هذه الاصول (من هذه العناصر أو من هذه الذرات) وكل عنصر أو ذرة تبقى ثابتة الخصائص، لايلحقها تغير أو انفعال، بل كل ماهنالك خليط من هذه العناصر أو الذرات، وليس الجسم المتكون منها مركباً بل

---

(١) الايلية: نسبة الى مدينة ايلية في جنوب ايطاليا.

هو خليط عن طريق التجمع والتفريق أي لايتولد

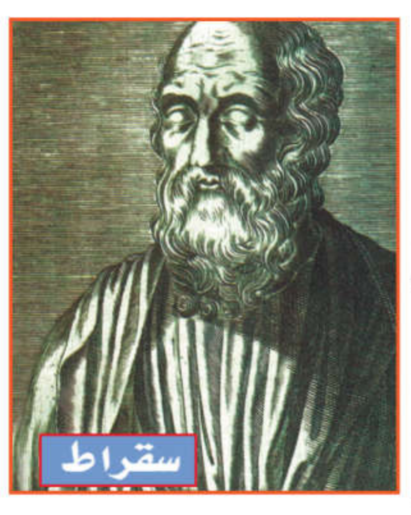
شيء جديد، بل تجاوز. تجمع فقط، كما تجمع حبات الحنطة والشعير والشوفان، وهذا ما قالت به المدرسة الذرية القديمة. ولاتخرج المدرسة الفيثاغورسية، نسبة الى مؤسسها فيثاغورس عن كونها مدرسة ذرية اساساً لمنها حسبت العدد هو الاصل أو مبدأ خميع الكائنات والعدد عندهم يعني الشكل الهندسي، فالثلاثة تساوي المثلث مثلا، ولذلك لايوجد جسم الا وهو مكون من العدد، أي كل شكلٍ عدد، له شكل هندسي، وهم فيما عدا ذاك يقرن بالعناصر الاربعة اصلاً للاشياء، أي بالتكوين المادي للاشياء لكنهم عدّوا أن الاشياء تتخذ شكلاً وحيزاً في المكان، شكلاً هندسياً كالكرة أو المكعب وهكذا. كما هو قول الفيثاغورية التي تكونت في جنوب ايطاليا، بعد موت فيثاغورس.

والفيثاغورية جمعية سياسية دينية وفلسفية في آن واحد، تعادي الديمقراطية الاثينية: وفيثاغورس يقول بأن النفس غير مادية، وخالدة وتنتقل الاجسام عن طريق التناسخ.

ب – فلاسفة يتحولون الى دراسة الانسان:

ظهر السوفسطائيون في القرن الخامس والرابع ق.م فوجهوا الفلسفة من دراسة الكون الى دراسة الانسان، وسبب ذلك أن اثينا بسطت نفوذها على أيونية وبعض جزر بحر ايجه، وانهت حربها مع الفرس بالنصر، وأمدها بيركليس بدستور ديمقراطي، كثرت الحاجة الى الجدل السياسي والقضائي والانتخابي، فظهرت الحاجة الى معلمين للخطابة للتأثير في الجمهور، وقام بهذا معلمون، وهذا معنى سوفسطائي أول الامر، يتقاضون اجراً وقد بالغوا في تأكيد نسبية كل معرفة وكل حقيقة، فنفوا أن يكونوا هناك حق وباطل وخير وشر عامة ! بل الخير والشر مايراه الفرد الواحد، وهذا معنى قول مؤسس المدرسة بروتاغوراس: (الانسان مقياس الاشياء جميعاً).

هنا جاء سقراط معارضاً تعاليم السوفسطائيين، برغم انه ابتعد مثلهم عن الفلسفة الطبيعية ودراسة الكون حاصر الفلسفة في دراسة الانسان وشعار اعرف نفسك، فتكلم في الفضيلة وطابقها مع المعرفة، فالعارف فاضل، وهذا معنى قوله



الفضيلة معرفة واهتم بتحديد معاني الكلمات والمفاهيم، أي وضع تعاريف ثابتة للاشياء، وبذلك امكنه الرد على تلاعب السوفسطائيين بالالفاظ، حوكم بتهمة انه يفسد الشباب، وينكر الهة المدينة، ويقول بآلهة غيرها، وشرب السم في السجن راضياً بحكم القضاء وكان يعتقد بخلود النفس بعد الموت، وتعددت المدارس المنتسبة اليه، وأهم تلاميذه أفلاطون. لم يترك سقراط كتاباً بل وظف دقته في (فن النحت) من خلال (محاوراته) الفلسفية حول الانسان وطبيعته وحقيقة المعرفة ومرتكزاتها، وهو يواجه التشويش الفكري الذي تركته السوفسطائية في عقول الشباب.

انطلق هذا الفيلسوف من حكمة كان يرددها باستمرار مع نفسه وهي (ايها الانسان اعرف نفسك) ليمتحن بها عبارة سمعها من (الكاهنة) يوماً ما حين خاطبته (ياسقراط انك الاحكم بين (الاثنيين) فأخذ (سقراط) يتصدى للنزعة السوفسطائية) (امموهة) في معرض امتحانه لهذه النبوءة ومدفوعاً بنزعته الاخلاقية والدينية التي تؤمن بحياة ثانية ووجود (عدل) و (حق) ويقين مهما حاول السوفسطائيون نكرانه.

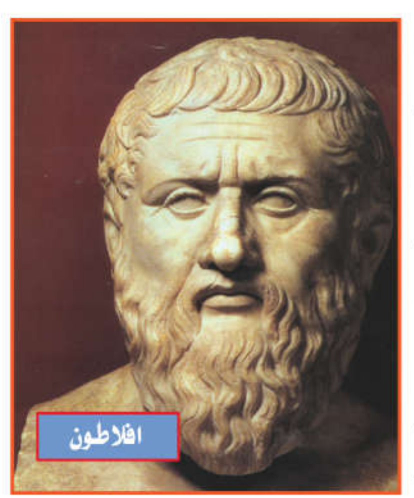
إن فلسفة سقراط ترتكز على عقيدته الاخلاقية التي تؤمن بخلود الروح، والحياة الثانية، والاله الواحد العادل. كما هو شأن أهل الشرق الموحدين، لذلك تصدى للنزعة السفسطائية، ولم يهادن من أجل الحق والحقيقة، لكن تأثير (خصومه) في اجهزة السلطة اليونانية، كان وراء سجن سقراط ومحاكمته بتهم خطيرة فحكم عليه بالموت (بتناول السم) ورفض الهرب من السجن. بحواري رائعة سجلها تلميذه افلاطون، اسمها (فيذون او خلود الروح) عرض فيها تصوراته عن الحياة الثابتة والعدل الالهي وتناول سقراط السم سنة ٣٩٩ق.م بعد ان أرسى دعائم البحث الفلسفي والعلمي والاخلاقي الذي ازدهر على يد تلميذه افلاطون، ثم ارسطو من بعده كما سنرى ذلك في السطور الآتية.

المرحلة الثانية: مرحلة الازدهار الفلسفي اليوناني (الكوني والاخلاقي)

- افلاطون وارسطو:

على الرغم من محنة الفلسفة باعدام سقراط، فإن افكاره ومنهجه، حظيا باعجاب الاذكياء من طلبة العلم والفلسفة الذين استفادوا من الانجاز (السقرطي) ليتكامل البحث على ايديهم على الصعيدين (الكوني) و (الانساني) واقصد بهما (افلاطون وارسطو)

أ- افلاطون :



افلاطون

فيلسوف اثيني كتب (المحاورات) و (الجمهورية) و (القوانين) بعد ان أعجب بفلسفة سقراط. وسجل محاوراته ضد السوفسطائية، وتألم لاعدامه، وحاول ان يطبق تجربة اصلاح اجتماعي - اخلاقي فلسفي، لكنه فشل بسبب الحلول (الخيالية) التي آمن بها فسمي (مثالياً):

أ- اعتمد افلاطون في فلسفته، على المنهجين (الصاعد) و (النازل) في تكوين معرفته الكونية والاخلاقية، فنراه في الطريق الصاعد يعتمد على الملاحظة والاستقراء، لينتقل من الجزيئيات المرئية والمحسوسة، الى المعاني الكلية الشاملة، أي ينتقل من زيد، واحمد، واسماء..الخ. كأفراد الى (الانسانية) اما في (الطريق النازل) فيستخدم افلاطون (الاستدلال) لينتقل في المعرفة من (المعاني الكلية الشاملة) مثل (الانسانية) الى الجزيئات المحسوسة (الافراد)، أحمد، وزيد، وأسماء.

ب - لقد بنى هذا الفيلسوف فلسفته الكونية، على أساس فكرة (المُثل). والموجودات عنده ثلاثة (اللّه) سبحانه ويسميه (بالمهندس الاعظم) (والمُثل الثابتة) والمطلقة الموجودة في عالم السماء (وهي نماذج كاملة وراقية لكل الاشياء المخلوقة) ثم (الطبيعة المشوشة) التي تحتاج الى النظام والهندسة.

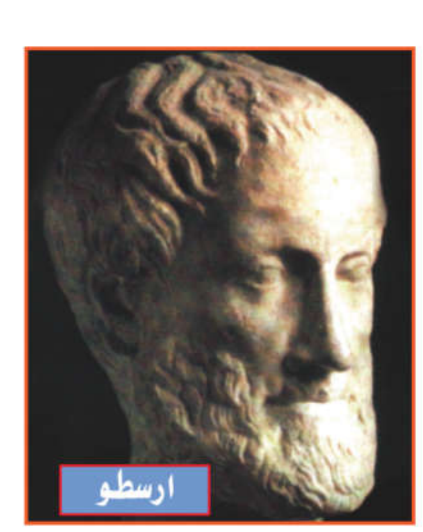
لقد قام (المهندس الاعظم) بتنظيم (الطبيعة المشوشة) حيث وضع فيها قوانين المُثل وجمالها فجاءت المحتويات الارضية حاوية لصور المُثل ومشابهاتها: كما هو شأن

النفوس في الابدان. فالنفس (صور مثالية) سماوية، موضوعة في بدن طبيعي ارضي فإن لذلك تسعى النفس جاهدة للانفصال عن الجسد والعودة الى عالمها السماوي عن طريق الموت أو تناسخ الارواح.

ج- - لقد اسس افلاطون مدرسة للفلسفة سماها (الاكاديمية) كتب على بابها (لايدخلها الامن يعرف الهندسة) لايمانه بأهمية الهندسة والرياضيات في دراسته الفلسة وتنظيم الافكار والتصورات وراح يعمل على ايجاد مجتمع مثالي يقوده الفلاسفة، خلٍ من اسباب الشر والاذى التي يشاهدها في مجتمعه الاثيني. لذلك جعل هذا الفيلسوف (معرفة الموجودات الكلية، والجوهر والماهيات والمُثل العقلية موضوعات للمعرفة اليقينية الحقة. متابعا خطى استاذه في ذلك، لعدم إعتماده على الحس والظن والظواهر المتبدلة، وعد الرياضيات نموذجاً للصور الراقية التي يتسرب اليها الشك.

د - لقد آمن افلاطون بخلود النفس وعودتها الى عالمها السماوي، كما آمن (بتناسخ الارواح) وحلولها باكثر من جسد وبالاصل المشترك للكائنات الحية.

ان الانسان في نظر افلاطون، هو المخلوق الذي يجسد عظمة المهندس الاعظم، حيث اجتمعت فيه (النفس) مع البدن وان في داخل كل انسان، ثلاث نفوس (شهوانية) و (غضبية) و (عاقلة)، والعاقل من الناس هو الذي تسيطر نفسه العاقلة على النفس الغضبية (في القلب) والنفس الشهوانية (في المعدة واسفلها)، وبذلك ينال الفضائل، ويدرك الحقائق ممثلة بالخير الاعظم، وتلك هي السعادة التي لايستشعر بها الامن عرف (الفلسفة الميتافيزيقية). (التي تدور حول عالم ماوراء الطبيعة فالمعرفة الحقة هي التي يكون موضوعها، اللّه وعالم المُثل، والسماء والفضائل وذلك غاية ماتتطلع اليه النفس الانسانية في مسيرتها التطهرية لكي تحقق العودة (الميمونة) الى عالمها الأثيري وعالم المُثل).


ارسطو


٢- ارسطو :

فيلسوف مقدوني درس الفلسفة في (اكاديمية

افلاطون) وكان متفوقاً على اقرانه أظهر ذكاء حاداً في دراسته للفلسفة وفي انتقاده لنظرية استاذه افلاطون في (المُثل). كان ظاهر التأثر بالتفسير الشرقي (الفلكي مؤوناً (بحيوية الكواكب) التي سبق وقال بها العراقيون والمصريون حتى وصل البحث الفلسفي على يده الى القمة، سمي هو وتلاميذه (بالمشائين) لأنه كان يدرس الفلسفة في مدرسته الجديدة. في بستان اتخذه بعد وفاة استاذه، مكاناً لتدريس الفلسفة) سيراً على الاقدام كما كان ارسطو، استاذاً للاسكندر المقدوني، في البلاط المقدوني جملة من السنين.

سمي ارسطو (بالمعلم الاول) لتأليفه الفلسفية المتنوعة لاسيما في ميدان المنطق ومنهاج البحث... مثلما اطلق الاسلاميون لاحقاً على الفارابي اسم المعلم الثاني.

أ – منهجه:

عرف ارسطو بمنهج علمي يقوم على الملاحظة، وتحديد المشكلة وتتبع ملابساتها وظروفها، وآراء السابقين فيها، وصولاً الى الحلول المناسبة لها.

لقد وظف ارسطو المنهج الرياضي – المنطقي في ابحاثه المختلفة، سعياً وراء اقامة (العلم البرهاني) المعتمد على معرفة الاصول والمباديء الأولى، لقوانين السببية، (العلية) في العلم الطبيعي.

ب – فلسفته:

انطوت فلسفة ارسطو (الطبيعية) التي موضوعها (المحسوس والمتحرك) من الموجودات، على بناء محكم يعتمد على معرفة السبب والنتيجة وصولاً الى السبب الاول للحركة. بعد ان وجد ان الاشياء في العالم الطبيعي تقوم على اربع علل (ولنأخذ الكرسي الذي تجلس عليه مثلاً لذلك).

الاولى: علة فاعلة، هي السبب الفاعل للكرسي (السبب القريب) النجار.

الثانية: علة مادية. تمثل السبب المادي للكرسي.(الخشب)

الثالثة: علة صورية. تمثل هندسة الكرسي وصورته وشكله الذي ظهر على شكل(كرسي) صمم حسب هندسة (صورة) فنية ما.

الرابعة: علة غائية: أي الهدف من وجود الكرسي (الجلوس). تتفاعل هذه العلل (الاسباب) مع بعضها وفق قوانين متنوعة، – على (صعيد الوجود الطبيعي)

المتغير، الذي هو في حركة دائبة من (الخلق والفناء) والتبدل.
اما الفلسفة (الميتافيزيقية) (مابعد الطبيعة). فموضوعها عند ارسطو هو (الوجود بالاطلاق) لذلك قامت على اساس معرفة (السبب الاول) (اللّه سبحانه) بوصفه علة حركة جميع الاشياء، من غير ان يتحرك بعد ان عد ارسطو معرفة موضوع ماوراء الطبيعة من اشرف موضوعات الفلسفة لانه يدور حول معرفة (الكليات) العقلية، والمباديء الاولى، والاصول العلوية للاشياء الشريفة والسامية في عالم السماء. حيث عقول الكواكب الفاعلة ذات التأثير في العالم الارضي.

اما فلسفة ارسطو الاخلاقية، التي موضوعها الانسان والخير، والحق، والسعادة والفضيلة، فتقوم على نظرية تربوية، ترى في الانسان صفحة بيضاء، عند ولادته، ثم يكتسب معرفته وتكوينه اللاحق من المحيط. لذلك منح التربية اهمية كبيرة في غرس الاخلاق الفاضلة والمعرفة الصحيحة فقاعدة الحياة السعيدة، عنده، تقوم على ادراك الخير ذاتياً (من قبل كل فرد) وصولاً الى ادراك قيم الجمال والفضيلة، وتلك هي السعادة الحقة للانسان.

يتحاشى الانسان من خلاله: (التطرف) و (الانحراف) في السلوك، فالفاضل من الناس هو الذي يتجنب (الافراط) و (التفريط) في المواقف الاخلاقية بفضل ادراكه (للوسط الذهبي) – المعتدل – المتأني من سيطرة (القوى العاقلة) على قوى النفس والانسانية (كالغضب والشهوة) فالشجاعة مثلاً، هي وسط بين طرفين (الجبن) و(التهور)، أما العدالة فهي (المطابقة بين سلوك الانسان والقانون الخلقي). من هنا راح في فلسفته الاخلاقية والسياسية، والاجتماعية، يتحدث عن الاسرة والتربية والدولة والمجتمع والانظمة والقواعد العامة.

واخيراً كاد التعصب (الاثيني) ان ينكب الفلسفة مرة اخرى بأرسطو بعد سقراط، حين تعرض لمؤامرة شبيهة بمؤامرتهم السابقة (لان ارسطو – غريب عن اثينا!) لكن ارسطو غادر اثينا ليلاً وهو يقول: ((لااريد ان امكن الاثينيين مرة اخرى من الفلسفة)) مات ارسطو عام ٣٣٢ق.م بعد ان عصفت جيوش تلميذه الاسكندر المقدوني بالعالم الشرقي حتى وصل الى الصين. لكنه توفيَّ في بابل سنة ٣١٨ق.م،

ودفن شمالها في منطقة الاسكندرية، بعد ان اتخذ من (بابل) عاصمة لممالكه الشرقية لعظمتها التأريخية وسحرها الحضاري والعمراني.

المرحلة الثالثة: الفلسفة اليونانية بعد أرسطو:
(الشكاك، الابيقورية، الرواقية، مدرسة الاسكندرية)

١- الشكاك:

انتشر هذا التيار على امتداد القرنين الرابع والثالث ق.م ثم القرنين الاول والثاني للميلاد يقولون ان الحكم ونقيضه متعادلان، فيستحيل اعطاء حكم قطعي حول الاشياء، لذلك يمتنعون عن اصدار الاحكام فمثلاً اعرف بالحس ان العسل الحلو، وان النار تحرق، لكن علي ان امتنع عن الحكم بان العسل حلو، أو النار تحرق، وبذلك احصل من هذا الامتناع على السكينة والسعادة، وهما غاية الفيلسوف عندهم، فلاثبات للحقائق عندهم ولا وحدة في المعرفة.

٢- الابيقورية:

تطور المذهب الذري اليوناني السابق على يد أبيقور بعد ان اسس ابيقور مدرسة في اثينا وعرفت بحديقة ابيقور. الذرات عنده بخلاف ديمقريطس لها ثقل وليس واحدة في طبيعتها، ليفسر اختلاف الموجودات.

وقال بالحتمية الطبيعية، لكنه حاول ان يفسر ((حرية الانسان)) تفسيراً ذرياً بأن الذرات وهي تسقط الى الاسفل في الفراغ اللانهائي تستطيع تلقائياً ان تنحرف أو تنحني، وبهذه النظرة الساذجة يؤكد ان انحراف الذرات شرط ضروري. اذ هي عنده مجرد اتحاد للذرات مؤقت ودعا الى اللذة الدائمة، أي العقلية، أما في مجال الاخلاق فأكد على اللذة الحسية التي هي مطلب الانسان الذي لايثق بالمستقبل.

٣- الرواقية [1]:

ظهرت في القرن الرابع قبل الميلاد واستمرت بعده الى مابعد الميلاد، الاخلاق

---

[1] سميت بالرواقية: لان اصحابها يلتقون في رواق.

محور فلسفتهم، وتقوم على العلم الطبيعي والمنطق والفلسفة .

عندهم حديقة ارضها الخصبة العلم الطبيعي، وسياجها المنطق، وثمارها الاخلاق، يطابقون بين اللّه والعالم المادي، والعالم كله كائن حي وله روح كلية ومرتبط بقانون كلّي، والعالم واحد كروي الشكل وكله ملاء، وتلفه الغائية والهدف وفقاً لمخطط أو ((قدر)) كوني الهي شامل، وافعال الناس خاضعة للضرورة الصارمة، ولامفر منها. والرواقي يؤرث خير الدول والمجموع على مصلحته الذاتية الى حد التضحية بحياته، وعندهم فكرة ((مواطن العالم)) أي الكل سواء: اليوناني وغيره النساء والرجال العبيد والاحرار.

٤- مدرسة الاسكندرية:

بعد مجيء الامبراطورية الرومانية، اجتاحت غربها، موجة من التعاليم الدينية والطقوس الشرقية، لاسيما المسيحية فغدت الفلسفة الدينية.وهناك جاءت من مدرسة الاسكندرية على يد افلوطين المصري ما يعرف بنظرية (الفيض) ولد افلوطين (٢٠٣م - ٢٧٠م) في مصر، وزار الشرق مع حملة ضد الفرس، ثم ذهب الى روما. وجمع احد تلامذته كتاباته في مؤلف واحد سماه (التاسوعات)، وهو اربع وخمسون رسالة قسمت الى ست مجموعات، تحتوي كل مجموعة على تسع رسائل موضوعاتها الانسان، والأخلاق، والعالم المحسوس، والعناية الالهية، والنفس والعقل والواحد.

يرى افلوطين:- ان اللّه كامل فيفيض عنه الوجود كله على شكل سلاسل أو مراحل هي: العقل الاول، ثم النفس الكلية، فالنفوس الفردية، وأجسام الاحياء، ولأفلاك الى المادة الاولى. وهذا هو «الطريق النازل» أما الطريق الصاعد فهو طريق خلاص النفس من الجسد وطريق المتصوف الساعي للخلاص من عالم المادة. وهذا الطريق يبدأ من عالم المحسوسات صعوداً الى اللّه بعد رياضيات ومجاهدات روحية.

الفلسفة في الحضاره الصينية



الفلسفة في الصين القديمة ظهرت قبل الالاف السنين ووقعت تحت تأثير اتجاهات رئيسية ثلاث من الفكر(البوذي، التاوي، والكونفوشيوسية) وكان هناك اختلاط بين هذه المعتقدات الدينية. بحيث كانت متقاربة من بعضها.

الدين السائد في الصين كان مؤلفاً من خليط من الامور الخرافية مع (البوذية والتاوية والكونفوشيوسة).

تبدأ الفلسفة الكلاسيكيه الصينية من العصور القديمة لحين انتهاء حكم سلالة(تشين) وتعتبر تلك الحقبة من اهم الحقب التي شهدت ازدهار ونماء الفكر والابداع في الصين.

كونفوشيوس: ولد سنه(٥٥١ ق.م) وتوفي في سنة (٤٧٩ ق.م) اي خلال فترة حكم سلالة الصين الثانية وكان من اسرة نبيلة، وكان منذ صغره يرغب في المشاركة في الطقوس الدينية واداء شعائرها، وفي شبابه سعى لينهل من العلوم والمعارف والثقافة، وخبر السياسة والعلوم في ريعان شبابه، لهذا برز اسمه لامعاً بين الناس.

لم يهتم الصينيون قبل كونفوشيوس بكتابة وتدوين الاحداث، سوى بعض الاحتفالات والمناسبات الدينية.

لكن كونفوشيوس كسر هذا الطوق وبدأ بتدوين وتسجيل الاحداث الخاصة بالسلطة وادارة الحكم والقيم والاعراف الاجتماعية، ولم يهتم بالبحث في موضوعات الميتافيزيقيا(ماوراء الطبيعة) والكون والمادة ومكوناتها والظواهر الطبيعية بل اهتم اكثر بسبر اغوار الانسان. سر نجاح وانتشار فكر كونفوشيوس بهذا

الشكل الواسع في الصين وغيرها يعود الى اهتمام كونفوشيوس بتحليل المجتمع والموضوعات التي لها علاقة بحياة المواطن العادي(الاخلاق، العادات، السلوك الاجتماعي والسياسي وحب الناس والتعامل الجيدمعهم والنزاهة وعفة اللسان وتقدير المسنين في المجتمع وتقديس الاسرة واطاعة الزوجة لزوجها ومحاربة الظلم والاضطهاد، وكان يقول في هذا الشأن: ((الحكم في خدمة الناس وليس العكس)).

حسب معتقدات كونفوشيوس فأن سلوك وتعامل الحاكم مع المواطنين يتجسد في مايأتي:

أ- احترام من يستحقون ذلك.

ب- التقرب والالتزام بعلاقات جيدة مع الاشخاص الذين تربطهم علاقات القرابة مع اصحاب السلطة.

ج- التعامل الجيد مع المسؤوليين والموظفين من قبل الحكام.

د- الاهتمام بالعلاقات العامه.

اسس ومبادئ الفكر الكونفوشيوسي:

١- اطاعة الوالدين.

٢- اطاعة الاخ الاصغر للأخ الاكبر.

٣- اطاعة سلطة القاضي.

٤- اخلاص الاصدقاء لبعضهم.

٥- عدم تجريح الآخرين اثناء الحوار.

٦- ان تكون الافعال والاقوال منسجمة.

الف كونفوشيوس خمسة كتب، تلخص فكره ومعتقداته وقد استفاد من الكتب القديمة في تأليفها، وهي:

١- كتاب الشعر والاغاني.

٢-كتاب التأريخ.

٣- كتاب التغييرات.

٤- كتاب الربيع والخريف.

٥- كتاب المناسبات الدينية.

اسئله الفصل الرابع:

س ١– ماأهمية تأريخ الفلسفة؟

س ٢– ماذا تعرف عن نظرية (الولادات الكونية البابلية)

س ٣– كيف نظر المصريون والعراقيون الى مسألة (الخلود) والمصير؟

س ٤– عدد المراحل الكبرى لتأريخ الفلسفة.

س ٥– وضّح الفكر العراقي وفكر وادي النيل في خطوطهما العريضة.

س ٦– ماسباب ظهور الفلسفة اليونانية.

س ٧– بيّن المدارس الفلسفية اليونانية قبل سقراط بإيجاز.

س ٨– لماذا سميّ افلاطون بالفيلسوف المثالي؟

س ٩– ماأصل الخلاف بين السوفسطائية وسقراط؟

س ١٠– لماذا يعّد ارسطو قمة الفلسفة اليونانية؟

س ١١– تكلم عن احدى الفلسفات اليونانية بعد ارسطو، وعددها، وبين خصائص الفلسفة في هذه الفترة.

الفصل الخامس

تأريخ الفكر الفلسفي الاسلامي (المشرق والمغرب):

١- مدرسة الاسكندرية ودورها الفكري:

ان قيام الامبراطورية الرومانية التي جمعت الشرق والغرب أدى الى اختلاط ثمار الحضارات الشرقية المعروفة (العربية القدمية) مع اليونانية والرومانية لتتوحد في المرحلة (اليونانية الشرقية ممثلة (بالاسكندرية) حيث تمازج (الدين بالفلسفة) و (الروح بالمادة) بفضل التلاقح الذي تمّ بين الفكر التراثي الموحد والديني الموحد والفلسفة الوافدة الى ديار العرب. اصبحت (مدرسة الاسكندرية) مركزاً للفكر الفلسفي والعلمي، تمخض عنه كتب معروفة في الطب والمنطق والفلك وغيرها من ابحاث علمية وفلسفية متنوعة، كان رجالها من سكان الوطن العربي، مولداً ونشأة وعقيدة أما أبرز الاجوبة الفلسفية خلال الفترة (مدرسة الاسكندرية فتمثلت (بنظرية الفيض) التي جاء بها (افلاطين المصري) ٢٧٠م) في كتاب (التاسوعيات) وهو يفسر الكون على اساس(فلكي - ديني)، يقوم على فكرة (الولادات) او الترابط السببي الحتمي بين (السبب والنتيجة) بدء من اللّه سبحانه وتعالى ومروراً بالعقل الاول والنفس الكلية. ثم النفوس الجزئية فالموجودات المادية التي تولدت بالتتابع لتؤثر على مجريات الامور في العالم الارضي فاضت هذه الموجودات الواحد تلو الآخر عن (اللّه سبحانه وتعالى) كما يفيض الماء عن النبع، أو كما يشع نور الشمس عن الشمس، بطريقة قريبة من فكرة التتابع السببي المعروف في هذه الربوع، عن طريق (الولادات)، لكنها هنا (واحدية) وليست زوجية) مادامت في عالم (الفلك) وفي تاريخ الانسان والحياة.

الفلسفة بعد ظهور (المسيح) عليه السلام:

الفلسفة جمعت بعد ظهور السيد المسيح (ع)، المادة الى الروح والطبيعة الى ماورائها و (الفلسفة) الى (الشريعة) لتقدم اجوبة تتوافق والنظرة التكاملية التي وجدناها في الاسلام.

لقد قدمت الفلسفة المسيحية جوابها الفلسفي الأخلاقي بواسطة، افلاطين والقديس اوغسطين.

ولكن حين سقطت الدولة الرومانية في (٤٧٨م) بسبب عوامل كثيرة أخذت تمهد الساحة الفلسفية في المشرق العربي لاتجاهات فكرية مختلفة عاد فيها الدور (للحكماء العرب) وهم ينظرون لحل مشكلاتهم الكونية الاجتماعية في اطار من التوحيد الديني الذي تكامل (بالاسلام)، بعد أن راح هؤلاء الحكماء يتأملون الكون والحياة بعيون باحثة عن الحل الشمولي الذي لاينهض الانسان الا به، ويعيدون التوازن للحياة والاعتدال للعلاقات الانسانية التي اختلت، والمقاييس التي ضاعت والمعايير الاخلاقية.

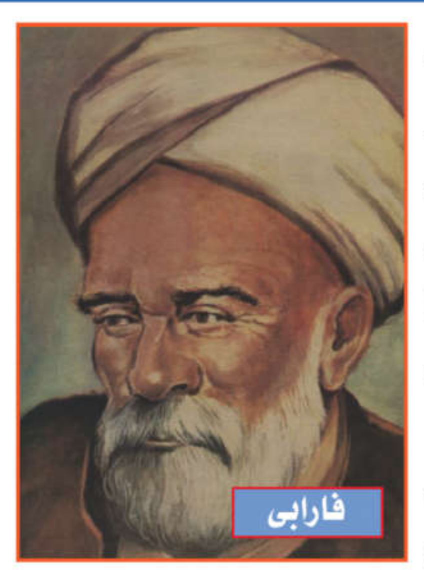
اولاً: الفلاسفة المسلمون في المشرق والمغرب:

أولاً فلاسفة المشرق:

نقصد بهم رجال الفلسفة الاسلامية، الذين ظهروا في المشرق الاسلامي عموماً، وفي بغداد على وجه الخصوص، منذُ استقر فيها مركز القيادة السياسية للعالم الاسلامي منتصف القرن الثاني للهجرة حتى أصبحت مركزاً فريداً للحضارة الانسانية وملتقى للعلماء والمفكرين ومناة للمعرفة وموطناً للعلوم المختلفة في القرون اللاحقة يحق لنا معه ان انطلق على النشاط (الفلسفي) الذي تحقق في هذه المدينة وبتأثيرها اسم (مدرسة بغداد الفلسفية) كما كان الامر مع (مدرسة الاسكندرية) و (مدرسة روما) و (مدرسة اثينا) الفلسفية من قبل هذا لأن بغداد تركت تأثيراتها الفكرية المتنوعة والفلسفية المتميزة، في مجمل الساحة الفكرية من العالم الاسلامي. الذي امتد الى الهند والصين وبلاد ماوراء النهرين وباكستان وايران وتركيا وصولاً الى الاندلس في المغرب. فكان فلاسفة بغداد بمثابة اساتذة لطلاب الحكمة والمعرفة في بقية الأمصار. سنبدأ، عزيزي الطالب، مع رائد الفلسفة وأول الفلاسفة المسلمين لنتابع بعده بقية الفلاسفة.

١- الفارابي (ابو نصر محمد ت٣٣٩هـ / ٩٥٠م):

سميّ بالمعلم الثاني، لأنه رتّب البحوث المنطقية، ومؤلفاته الفلسفية والعلمية واللغوية والسياسية، بطريقة راقية، جعلت موقعه في الفلسفة الاسلامية في مستوى موقع ارسطو (المعلم الاول) في الفلسفة اليونانية. بعد ان استوعب الفارابي التطوّر الفلسفي الذي تحقق



على يد الكندي وتلاميذه في بغداد الى جانب ماعُرف به من (موسوعية) جمعت (العلوم) الى (الفلسفة) و (السياسة) الى الفن و(الصنائع والموسيقى) فكتب في الفلك والموسيقى والطب والرياضيات والكيمياء، حتى عُدَّ من اغزر المؤلفين في الحقول (الفلسفية والعلمية) في هذه المرحلة يشهد على ذلك مئات الكتب والرسائل التي تركها الفارابي لطلاب المعرفة:

أ- الفلسفة عند الفارابي: تعني ((العلم بالموجودات بما هي موجودة)) لذلك كانت مهمته تكوين صورة (فلسفية) عن العالم (الكون) و(الحياة) ذات منظور شمولي (اجتماعي وطبيعي) و (كوني) كما اهتم بالمنطق وكتب فيه مجموعة كتب الى جانب تحليلاته لكتب ارسطو المنطقية بطريقة عقلانية نقدية تفوق بفضلها في دراسة (منطق اللغة) حين ربط بين (منطق العقل) و (النحو) بطريقة علمية على مافي (المنطق) من عموم و (النحو) من (خصوص). أما ابرز كتبه الفلسفية فهي (آراء اهل المدينة الفاضلة) و (تحصيل السعادة) و(احصاء العلوم). حيث عُدّ الأخير لوحده دائرة معارف للعلوم استفاد منه الكثير من الفلاسفة العرب والاجانب، مسلمين وغير مسلمين.

ب - يكفي الفارابي فخراً انه كان من بين القلة القليلة من المفكرين الذين قالوا بالأصل العراقي القديم (الكلداني) للحكمة (الفلسفة) بعدها انتقلت الى المصريين واليونانيين، ثم عادت مجدداً الى العرب المسلمين، وكأن (بضاعتنا ردت الينا) وبهذا نسب النشاط العقلي الى أصله الحضاري السابق على بلاد اليونان، لاكما ظن البعض خطأ نسبة النشاط العقلي لليونانيين دون غيره.

ج- أما في (المعرفة الانسانية) والنشاط العقلي، فيرى الفارابي وجود علاقة بين (الكلمة) و (الفكرة) داخل وعي الانسان وبينها وبين (معانيها) عن العالم الخارجي. فمن خلال تطابق (المفردة والفكرة) مع (موضوعها المادي) المشخص في الحياة ومعناه الدقيق تقوم (المعرفة الحقيقية) التي تتوزع على انواع ومستويات أهمها:

١- المعرفة الحسية وتختص بالظواهر المادية والجزئية في هذا العالم.

٢- المعرفة العقلية وتتصل بالموضوعات (الشمولية) و (الكلية) المكونة لمباحث (الطبيعة وماوراء الطبيعة) وهي مرتبة ارقى في سلم المعرفة الانسانية.

٢- الغزالي (ابو حامد محمد):

أ- مفكر (مركب التفكير) تنقل في بحثه من (الفقه والكلام) الى (علم المنطق) و (الفلسفة) والتصوف تنقلاً يقوم على منهج (الشك المنهجي) بعد ان كتب موسوعته احياء علوم الدين ومقاصد الفلاسفة. وتهافت الفلاسفة، وفي علم المنطق وصولاً الى كتاب (المنقذ من الضلال).


الغزالي

جعل (الغزال) كلاً من (العقل) و(النص الشرعي) وسيلته في بلوغ الحقيقة ولكل واحد من هذه الوسائل ميدانه، فلايجوز استعمال ادلة العقل في موضوعات الشرع (الالهية) بعد ان اجاز للعقل البحث في العلوم الطبيعية وعند تعارض حكم العقل مع (حكم الشرع) في الالهيات يقدم الغزالي (الشرع) على العقل لاسباب عقيدية كان هدف الغزالي من شكه الوصول الى اليقين فهو يرفض اخذ الحقائق مسلمة من الوهلة الاولى، وبهذا كان منهج الغزالي في الفقه غيره في الطبيعة وغيره في الالهية.

ب - استنكر ابو حامد، على بعض الفلاسفة، المتابعين لفلاسفة اليونان، قولهم (بقدم المادة) لابخلقها اوقولهم بمحدودية العلم الالهي او قولهم (بالمعاد الروحاني) يوم القيامة (لا البعث الجسدي) فالموضوعات (الالهية) التي تناولها الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة) لاتخضع لحكم (العقل الانساني القاصر عن ادراك اسرار عالم الغيب، بل هي من اختصاص النص المقدس والحديث النبوي الشريف تؤخذ على سبيل المثال الإيمان والتسليم بقدسية الحقيقة الآلهية الواردة في النص المقدس) بعيداً عن المجادلات واحكام العقل التي دأب عليها هؤلاء الفلاسفة واختلفوا فيها وحولها.

ج- وبعد ان نال الغزالي شهرة واسعة في بغداد.

د – اتجه في اخريات حياته الى (التصوف) حيث غادر بغداد حاجاً، وسائحاً ومعتكفاً، ومرتاضاً لمدة عشر سنوات في الشام وبعد ان حج استقر به المقام في مسقط راسه (طوس) بعد ان ترك هجومه على (الفلسفة و الفلاسفة) في بعض كتبه تأثيراً سلبياً على الفلسفة بين (عامة الناس) من الجهلة وبسيطي الثقافة لكن الفلسفة وجدت في رجال المغرب فرصة جديدة وميداناً رحباً بين الدارسين وهو موضوعنا القادم ان شاء اللّه.

ثانياً: فلاسفة الغرب العربي:

لم يكن الواقع الفكري والعقيدي في المغرب العربي (الشمال الافريقي والاندلس) معزولاً عن التطور الحضاري (الفلسفي والعلمي والكلامي) القائم في المشرق، بفضل ازدهار صنعة (الكتابة والوراقة) وتجارة الكتب فكانت مؤلفاته فلاسفة المشرق، في ايدي ابناء المغرب من طلاب العلم والمعرفة.

كما أن غاية مايتمناه المفكر المغربي هو زيارة الشرق والتبرك بمراكزه الدينية، والاتصال بحواضره العلمية والأخذ عن علمائه ورجال الحكمة فيه. ومن ابرز مظاهر التقدم الحضاري، المغربي، ماتحقق في زمن الحكم الثاني في الاندلس، حيث جلبت الكتب الفلسفية والعلمية من المشرق، لتشجيع النشاط العلمي هناك حتى أصبحت (مدارس الاندلس) بعد حين مركز استقطاب للعرب ةالاجانب. لاسيما من الاوربين الذين درسوا على أيدي فلاسفة الاسلام في المغرب الاقصى والاندلس وبخاصة في قرطبة. واذا تجاوزنا عشرات المفكرين والعلماء والمتصوفة من المغاربة فلابد أن نقف عند (ابن رشد) وماتركوه من أثر في النشاط الفكري المتحقق في تلك الربوع، وصولاً الى ابن خلدون.

١– ابن رشد (ابو الوليد محمد بن احمد):

قاضي قضاة الاندلس وابرز اطباء قرطبة واشهر فلاسفة المغرب العربي، حتى عده البعض، فيما تركه من مؤلفات ومنهج وتلاميذ، وتأثير (قمة المدرسة المغربية) الاندلسية مثلما كان شأن الفارابي في المدرسة المشرقية البغدادية.

أ– الى جانب شروحه، وتلخيصاته، لكتب ارسطو، كما رآها العرب كان لابن



رشد مؤلفات في (المنهج) و (المعرفة) ندب فيها نفسه للدفاع عن (الفلسفة والفلاسفة) و (التفكير الفلسفي العلمي الحر).

سجل ابن رشد فلسفته العقلية من خلال ماعرض من تلخيص وشرح لكتب ارسطو التي تعامل معها فلاسفة المشرق ، تحليلاً ونقداً وايضاحاً وتصويباً كتب ابن رشد التوفيقية بين الدين والفلسفة هي الكشف عن مناهج الادلة وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال وتهافت التهافت. رداً على كتاب (تهافت الفلاسفة للغزالي)، اما كتبه الفلسفية المعبرة عن حقيقة رأيه فتضم شروحه على كتب ارسطو وكذلك ملخصاته لكل كتب ارسطو مع كتب اخرى لشرح ارسطو وكذلك لجمهورية افلاطون.

ب – منهجه:

اقام (ابو الوليد) منهجه على اساس الاعتراف بحرية العقل والاجتهاد لمن يقدر عليه، في ميادين الفكر والعلم، فالاجتهاد معروف في الفقه بين المسلمين ومتداول بين الفقهاء، قاعدته تقول (اذا اجتهد الفقيه واصاب فله حسنتان، واذا أخطأ فله حسنة واحدة. من هنا وقف ابن رشد ضد مضطهدي الفلسفة. (والعقل والتأويل والاجتهاد) ليقول اذا كان المجتهد مثاباً في الفقه وأن أخطأ اعترافاً من الشروع بدور المفكر في البحث عن اجوبة للمشكلات الحيوية التي لم يرد فيها جواباً واضحاً، والفلاسفة مجتهدون بهذا القياس وأولى بالاثابة. وفي تقويمه للبحث الفلسفي الاسلامي يعتمد ابن رشد ذات القاعدة الفقهية في تعامله مع الانجازات الفلسفية، والتي تقول: باثابة المجتهد وان أخطأ ليبريء ساحته الفلسفية والفلاسفة من التهم التي وجهت ضد الفلسفة.

ج –هدفه: ان ابن رشد في منهجه القائم على (العقل والحرية والمعرفة العلمية والاجتهاد في الرأي) اراد ترميم العلاقة بين (الفلسفة) و (الدين) بعدم تعرضت له هذه العلاقة من سوء، في المشرق .

د– فلسفته:

كان ابن رشد يرى ان الفيلسوف لابد ان يؤمن بترابط الاشياء ترابطاً سببياً ضرورياً، يشد النتائج باسبابها، وان ادراك هذه العلاقة واطرافها، يتيح للعاقل فرصة (المعرفة الصحيحة) قال ذلك رداً على (الغزالي) الذي انكر وجود هذه السببية كما مر بنا لقد انكر الاشاعرة يمثلهم (الغزالي) (السببية الطبيعية) بين الاشياء متناسياً انها اساس (العلم والمعرفة العلمية) واليقين.

لذلك وقف ابن رشد مدافعاً عن الفلاسفة مفنداً لاتهامات الغزالي ضد الفلاسفة في مسائل علم اللّه وقدم العالم والمعاد الروحاني قائلا: (ان اللّه سبحانه منزه عن ان يوصف علمه بكلي اوجزئي) فعلمه سبحانه لاكعلمنا يمكن ان يقاس عليه ولامعنى لتهمة الغزالي ضد الفلاسفة كما ان (المعرفة الالهية) الكلية الشمولية تعني دخول جميع التفصيلات، فيها فالانسانية معنى كلي ينطوي تحته جميع الافراد اما مسألة قدم المادة اوحدوثها فهي الاخرى اجتهادية لا تنقص القدرة الالهية مادام الفلاسفة المسلمون يقولون بوجود اله اوجدها ورتبها وحركها. مثلما رأى ابن رشد، ان (البعث) في يوم القيامة يجري (روحانياً وجسمياً) ولكن بكيفية لايشبه التي كان عليها الانسان في الحياة الدنيا، بل بكيفية لايشبه التي كان عليها الانسان في الحياة الدنيا، بل بكيفية جديدة تتوافق وحقيقة (فعل الانسان وسلوكه الدنيوي من جهة) وتنسجم مع حيثيات الحياة الثانية وشروطها الميتافيزيقية) كما يخصصها اللّه سبحانه وتعالى من جهة اخرى ومهما كان التفاوت في آراء الفلاسفة حول المبحث (الطبيعي) او (الالهي) فهو لايخرج عن دائرة الاجتهاد العقلي ولا يدخل بصاحبه الى دائرة (اللوم او التفكير).

وهكذا مهد ابن رشد في منهجه وفلسفته وجدلياته ونشاط، تلاميذه الى قيام النهضة الفكرية والمنهجية في دول الشمال الاوربي بعد ان انكمش مجتمعنا العربي الاسلامي لاسباب سياسية كانت وراء تخلفه وانقطاعه عن الحضارة بعد سقوط بغداد وسقوط غرناطة لاحقاً.

٢– ابن خلدون.



(ولي الدين عبد الرحمن بن محمد) وجد (العالم) اكبر من ان يحيط به (عقل بشري) ومن غير المعقول – كما يرى ابن خلدون – ان يعرف الانسان كل مافي هذا الكون بالمنطق الخالص وبالتجربة وحدها ! اوبمعزل عن (الشرع) بمعنى اخر مجموع المعارف الناشئة عن (المنطق العقلي والتجربة والوحي) تشكل اساس معرفتنا بهذا الوجود المعقد.

أ– فلسفته: لخص لنا هذا المفكر فلسفته في كتابه الشهري (مقدمة ابن خلدون) في معرض بحثه عن (محنة السقوط) و (اسباب النهضة) في ميدان (علم الاجتماع) (العمران) و (فلسفة التاريخ) بعد ان عضا للقارئ تاريخ الفلسفة والمنطق عرضاً موجزاً نلتمس من خلاله اثار مرحاته وما اكتنفها من تراجع سياسي وفكري، قاد الى (سقوط بغداد عام ١٢٥٨م) وماسوف ينجم عنها لاحقاً في الاندلس (سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م) لذلك اتجهت فلسفة ابن خلدون الى دراسة (التجربة الانسانية) في المحيط العربي الاسلامي للوقوف على (القانون) الذي يفسر الحوادث كنتائج لاتنفصل عن (اسبابها) على اعتبار ان الحوادث التاريخية والاجتماعية هي نتائج ترتبط باسباب قريبة وبعيدة ظاهرة وخفية، والعاقل (الحكيم) هو الذي يكتشف هذه الشبكة من العلاقات الخفية الكامنة وراء الاشياء، لمعرفتها والاعتبار بها وعدم تكرار نتائجها السلبية (وتلك فلسفة التاريخ) ويقول ابن خلدون في بحثه عن السببية (انه يلتمس لكل شيء علله) (اسبابه) الطبيعية ولابد ان تنتهي سلسلة العلل الى علة اولى هو (اللّه سبحانه وتعالى).

ب – ويكفي هذا الفيلسوف فخراً، انه سبق غيره من العلماء الغربيين حين بحث في ميادين فلسفية وعلمية جديدة، (مثل علم الاجتماع وفلسفة الحضارة والتاريخ) ليترك تأثيره اللاحق في اوربا بوضوح، لذلك عد بداية التاريخ الحديث للامة العربية.

ج – ساهم ابن خلدون في صياغة نظرية تطورية، مستفيداً من الآراء الفلسفية

الاسلامية التي سبقته، بعد ان تتبع اصولها في الموجودات والسلالات على اساس عضوي قبل التطوريين بقرون. لذلك جاءت اراء (ولي الدين) في السياسة والدولة والحضارة والمجتمع مبنية على فكرة (الدورة الحية) للاشياء والمؤسسات والافراد، تبداء من الولادة، والشباب (الازدهار) وينتهي الى الهبوط والانحطاط والسقوط (الشيخوخة) و (الموت). من غير ان يفصل هذه الحركة وتلك المتغيرات عن مسائل مثل (طبيعة الحاكم) و(الاقتصاد) والعلم والعلماء. فقانون قوة المجتمع وتماسكه، وتقدمه الحضاري يقوم على (العصبية) وتعني (شدة تماسك الجماعة)، وهو مشتق من كلمة عصبة لاتعصب ! و(التقشف) وان متانة الاقتصاد القائم على انتاج الحياة واسبابها اساس التقدم والارتقاء فالفائض من الانتاج، يوظف في خدمة الازدهار العلمي والحضاري. بخلاف (المجتمع الاستهلاكي) التابع للاجنبي والضعيف وحين تألم ابن خلدون لظاهرة التخلف والتناحر داخل الصف العربي، يذكر الجميع قائلاً ان العرب امة ذات جذر حضاري عريق، قادرة على التجدد، اذا ماتوافرت لطبيعتها الطيبة فرصة النمو والانطلاق والتحرر من عوامل التخلف والتبعية والتجزئة والضياع. لقد كان ابن خلدون منزعجاً من الطغيان، والاستبداد والاعتماد، على الغرباء، والنزعات القبلية، والجهل وصراع القيم وتناقضها التي كانت سائدة في عصره الذي كان عصر (اعراب) لا (عرب) ! لم يدركوا جوهر الدين ولافضائل الاخلاق المعروفة في الاسلام والعروبة وبهذا اصبح ابن خلدون، واحداً من عمالقة الفكر العربي والعالمي بعد ان وضع قوانين حركة المجتمع وفلسفة الحياة من غير ان يجد له في (المنطقةالعربي) من يكمل فلسفته ويطورها ! فعاش (الفكر) و (المجتمع) حالة (انكماش) ! على مدى خمسة قرون بعده.

أسئله الفصل الخامس:

س ١- مادور علماء الكلام في نشر الوعي الفلسفي؟

س ٢- مالفرق بين علم الكلام ومايسمى بفلسفة (فلاسفة الاسلام)؟

س ٣- ماسباب نشأة الفلسفة الاسلامية؟

س ٤- من هم اهم الفلاسفة الكبار للفلاسفة المسلمين؟ مع الكلام عن اثنين منهم.

س ٥- ماذا نقصد بفلاسفة المسلمين في المغرب؟ ماهو دور ابن خلدون من فلسفة التاريخ.

الفصل السادس:

الفكر الاوربي الحديث منذ عصر النهضة الاوربية وبعض اتجاهاته الحديثة

أولاً: الفكر الاوربي في العصر الحديث:

١- لمحة عن تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى المسيحية وعصر النهضة وعوامل ظهور هذه النهضة (٤٠٠- ٦٠٠م).

كما رأينا فقد ازدهرت الفلسفة عند اليونان، حيث وجدنا الفلاسفة اليونانيين القدماء يؤسسون اصول الفكر الفلسفي ويطرحون التساؤلات حول موضوعات الفلسفة الاساسية كالعالم والانسان والمعرفة والمبادئ والقيم الاخلاقية والجمالية ويقترحون حلولاً مختلفة لهذه التساؤلات وبعد نهاية العصر اليوناني والروماني القديم انتشر المسيحي في انحاء مختلفة من العالم وبدا مايسمى عند المؤرخين الغربيين بالعصر الوسيط الذي يمتد على وجه التقريب من القرن الخامس الى القرن الرابع عشر الميلادي ويقسم الى فترتين: مبكرة ومتأخرة عن طريقها انتقلت الحضارة اليونانية الى الغرب اللاتيني مضافاً اليها ما ابدعه الفلاسفة والعلماء في كل الميادين كما اوضحنا فيما تقدم تميز العصر الوسيط في اوربا بغلبة الجانب الديني وبظهور انماط جديدة في الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية كانت الكنيسة محورها، ولم تشذ الفلسفة عن هذه القاعدة.

ثمة عوامل داخلية حاسمة تتعلق ببناء المجتمع الاوربي ذاته مثل الاستكشافات الجغرافية والحملات الصليبية وازدهارها التجارة مع الشرق وظهور المدن وسكانها (البرجوا) وتراكم الاموال، والصراع بين الامراء والملوك من جهة وبين الاقطاع والكنيسة من جهة اخرى وهجرة العلماء الى ايطاليا بعد انقسام الامبراطورية الرومانية المقدسة وسقوط القسطنطينية على يد المسلمين سنة ١٤٥٣م وحركة الاصلاح الديني وتبنى هذا الاصلاح على يد المذهب البرتستانتي للتطورات الاقتصادية الجديدة وعده (الربح) واطايب الحياة علامة على رضا اللّه ضد زهدية

الكنيسة الكاثوليكية وهناك اسباب اخرى حاسمة ايضاً في هذه الميادين كاستخدام الطباعة والبارود والبوصلة، وكان لهذه الاختراعات الاخيرة الثلاثة دور اشد خطراً في صنع التاريخ من دور السياسة او الفتوحات او الخصومات الدينية، على حد قول فرنسيس بيكون زيادة على الحركة الادبية المسماة (بالبعث) او (الرينساس) أي احياء الادب والفلسفة القديمة او الكلاسيكية بما اتسما به من قبول صريح للحياة، ونقد وجرأة فكرية حازمة في البحث وكان (للاسميين) بما ينشرونه من نقد وشك وللفرنسيكان، وهم رهبان من الاديرة اخذوا يكتشفون بدهشة بتجاربهم العلمية ماللاشياء الطبيعية من عظمة ولذة، كان لهؤلاء ولاولئك دور في ظهور التفكير العلمي الجديد. هكذا اخذت بذور ثقافة فكرية تثمر فاللغات القومية تطورت وازدادت ثراء ونقاء، وتحولت الى لغات ادبية ووسع فن الطباعة لنشر المعرفة وعمل هذا مع الروح التجارية على خلق افكار الشخصية القومية، باطاحتها للحواجز التي كانت تفصل بين القرى المنعزلة والتي كانت تعيش على سياسة (الاكتفاء الذاتي) اقتصادياً. وبدأ منهج علمي جديد يشق طريقه ولم يعد في المقدور الاكتفاء بسلطة الكنيسة في مجالات العلم ومعرفة الطبيعة فقويت المطالبة بالبحث في اشياء الطبيعة مباشرة وليس من الكتب فقط بل على اساس الملاحظة للطبيعة وظواهرها، وعلى اساس العقل المتفحص وبالفعل فعن جميع البلدان التي تقدم فيها النظام الاقتصادي الجديد، شوهد تقدم جذري للعلوم الطبيعية والجغرافية والتاريخية والاجتماعية، وفي المجالات الاخرى كافة فالمفهومات الاخلاقية والنظرة الفنية والافكار السياسية. هذه التعبيرات عن الوعي الانساني تغيرت كلها تحت تأثير النمو الصناعي والتجاري والاجتماعي وكان من ابرز خصائص العهد الجديد اعادة اكتشاف الفرد، وصحوة الشخصية الفردية التي كانت ضائعة في (جماعية) و (كلية) الكنيسة والاقطاع واصبحت المهمة التي تراد من العلم والفلسفة والفن والادب هي مهمة اكتشاف العالم والاستفادة من كل شيء لمزيد واثراء للحياة.

سمات ونتائج هذه التطورات على العلم الحديث او الفلسفة الحديثة:

هذه التطورات الهائلة ادت الى تغيير المفهوم (الوسيطس الديني) عن العلم والفلسفة الى مفهوم جديد هو الذي نسميه العصر الحديث او الفلسفة الحديثة، وتطلق على المدة بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر والتي بدأت بواكيرها في عصر النهضة هذه التسمية تقترح انهاء طريقة قديمة في التفكير وبداية طريقة جديدة تتميز عن العصرين القديم والوسيط ويمكن تلخيص النظرة الجديدة في العلم والفلسفة بما يأتي:

١- تهتم النظرة الجديدة (بالحدث) وبالعلم كما انها تقيم حجمها على (فرضيات يمكن اختبارها بالملاحظة والتجربة بخلاف الفلسفة في العصور الوسطى التي كانت تقوم على الاستدلال المنطقي والقياس بالدرجة الاولى ولاتأخذ بالتجربة والملاحظة والاستقراء.

٢- تحاول حل المسائل بالعودة الى (الحدث العيني) وليس بالتأمل بخلاف (تلك الوسيطة).

٣- لم تعد تهتم بالفروق اللفظية والحيل المنطقية كما كانت تفعل فلسفة القرون الوسطى بدون مبرر.

٤- لم تعد مهتمة الى حد (الاستغراق) بالماضي فامامها الكثير لتكتشفه في الحاضر وهكذا تحررت من سلطة التزمت الديني والفكري الذي فرضته الكنيسة على الفلسفة والعلم والفكر من العصور المظلمة.

٥- وجهت وجهها صوب هذا العالم واثرائه واغنائه، بينما كانت الفلسفة الوسيطة تكاد تهمله لصالح عالم مابعد الموت دون ان تنسى النظرة الحديثة او فصائل منها، عالم مابعد الموت دون ان تنسى النظرة الحديثة اوفصائل منها، عالم مابعد الموت. وركزت على الاهتمام بالانسان واعترفت بقدراته العقلية والتجريبية للوصل الى معرفة العالم واستكشاف الحقيقة.

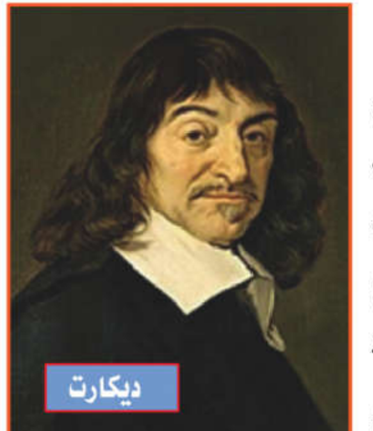
٦- الاعتقاد بان العالم والانسان خيران وهذه نظرة جديدة بخلاف نظرة القرون الوسطى المؤمنة في الغالب بطبيعة الانسان الشريرة،، بالشر الكامن الذي لامفر

منه في الحياة الدنيوية كما هو واضح في تعاليم (الاوغسطينية).
٧- استخدام منهج جديد في العلوم الطبيعية ودراسة ظواهرها يقوم على استقراء علمي على يد فرنسيس بيكون وكذلك استشارة العقل واخضاع كل شيء لبحث العقل على يد ديكارت والذي اكمل به منهج بيكون التجريبي، الذي اهمل العنصر العقلي في العلم، ذلك العنصرالذي يتبنى النظام والقوانين وراء الظواهر، وهكذا وضعا معا التبشير بفلسفة التنوير المتفائلة بفهم الطبيعة واخضاع البحث لاستغلالها من اجل تقديم الحياة واثراء الانسان. فصار كل العالم المادي والعقلي خاضعاً للنظر والامتحان فتوجه النظر الى البحث في اصل معرفة الاشياء واخذ الانسان يسأل: مااصل المعرفة والادراك؟ وما منبعها العقل ام التجربة؟ وظهرت هنا نظرية (التجريبيين) القائلة بان المعرفة مستقاة من التجربة في انكلترا على يد بيكون وجون لوك ودايفد هيوم ونظرية (العقليين) القائلة بان اساس المعرفة العقل، في باقي ممالك اوربا والتي كان رائدها ديكارت، ومن بعده (لايبنتز) واسبينوزا. وقد بحث كل من العقليين التجريبيين في اصل المعرفة ولكنهما كليهما وثقا بالعقل البشري واعتقدا بقدرته على معرفة الاشياء، فلم يتعرض احد منهما لموضوع (امكان معرفة الاشياء) وهل العقل قادر على تحصيل المعرفة نفسها حتى اتى كانط فاثار البحث في امكان المعرفة واخضع العقل البشري نفسه للبحث بمذهبه المسمى (بالفلسفة النقدية).

اولاً: المذهب العقلي.

يفترض المذهب العقلي او العقلاني قدرة العقل لوحده على معرفة حقيقة الكون بدون الاستعانة بالتجربة. وان العقل الانساني بقدراتع القبلية (قبل التجربة) والتي هي نظرية غير مكتسبة يقوم بتنظيم الحقائق والمعارف والوصول منها الى حقائق جديدة. ويفترض المذهب العقلي وجود افكار ومبادئ فطرية موجودة في العقل قبل التجربة ومستقلة عنها وتكون ضرورية ويقينية مثل، مبدأ (الكل اكبر من الجزء) ويعتمد المذهب العقلي العلوم الرياضية كنموذج يحاول تحقيقه الفلسفة.

المذهب العقلي يرى ان العقل وحده كاف لكل معرفة، ويستبعد المعرفة التجريبية يتضح هذا بكلامنا عن ديكارت كممثل للمذهب العقلي.



ديكارت :

فيلسوف فرنسي كان عالماً مهتماً بكثير من علوم عصره وبخاصة الرياضيات، كما اهتم بالفيزياء والفلسفة وغيرها اعتبر ديكارت ان هنالك علماً واحداً، هو الفلسفة له فروع متعددة ومترابطة وهنالك نوع واحد من المعرفة هي المعرفة العقلية اليقينية الواضحة والمتميزة، وهنالك منهج علمي واحد يمكننا من بناء نظام متكامل لجميع العلوم قادر على التطور والزيادة.

يبدأ ديكارت بالشك المنهجي بتصفية جميع المعارف فلا العقل ولا الحواس توصل الى اليقين، فالحواس خادعة والعقل يخطيء في استنتاجاته. فما ادرانا الاتكون كلها كذلك، واذا فيجب الانطلاق من الشك، لامن اجل الشك، بل كسبيل للوصول الى معرفة يقينية ولذا سمي شكه هذا بالشك المنهجي. الشك هنا وسيلة لامتحان معارفنا وقوانا العقلية ومنهج الوصول الى اليقين.

لاحظ ديكارت انه مهما اتسعت دائرة الشكوك يبقى هناك مالايرقى اليه الشك مثل:

أ- ان الجسم الدئري تحده مساحة مسطحة.

ب - ان خطين مستقيمين لايمكن ان يحصرا مكاناً.

ج -ان الكل اكبر من الجزء.

د - ان ني حتى لو شككتُ في وجود كل مايوجد فان هناك شيئاً يبقى بعيداً عن الشك وهو وجود (شكي) واذاً فان هناك شيئا هو الذي يقوم بعمليه الشك فهناك شيء يفكر، اذا انا افكر فاذن انا موجود.

اما المنهج الصحيح فيعرض ديكارت خطوطه العامة في مؤلفه(مقالة في المنهج) ويستند هذا المنهج عل قواعد هي:

١- مبدأ الشك

٢- مبدأ التحليل

٣- مبدأ التركيب

٤- المراجعة والاحصاء.

ثانياً: المذهب التجريبي

مذهب يقوم على اعتماد التجربة والتجربة الحسية اساسا للمعرفة. فيبين لنا هذا المذهب كيف يمكن الاعتماد على التجربة للوصول الى المعرفة والمنهج الذي يجب اتباعه والنتائج التي يمكن ان نتوقعها والصعوبات التي تجابهنا والحلول التي يفترضها الفلاسفة التجريبيون لمواجهة هذه الصعوبات وحلها. تقوم التجريبية على المبدأ القائل بان كل معرفتنا تبدأ من التجربة او يمكن اشتقاقها من التجربة ويعني هذا المبدأ ان مصدر المعرفة المباشر هو التجربة وان كل معرفة غير تجريبية حتى الافكار المجردة والمفاهيم يفترض ان يكون من الممكن ارجاعها الى التجربة اواشتقاقها منها، والاكانت غير مشروعة. ويبدأ التجريبيون ردهم على اصحاب المذهب العقلي برفض الافكار الفطرية التي يفترض العقليون وجودها في العقل قبل التجربة ثم يبين التجريبيون كيف تتكون المعرفة من التجربة. ويعتمد فلاسفة المذهب التجريبي الملاحظة والاستقراء منهجاً لهم، كما يعدون فيزياء نيوتن انموذجاً لفلسفتهم، وسنركز على فرنسيس بيكون.

فرنسيس بيكون:

اول فيلسوف حديث وضع نصب عينيه مهمة اقامة منهج علمي جديد، ويشير عنوان كتابه: (الالة الجديدة) الى هذا المعنى، أي معارضته المتعمدة للفهم القديم للعلم المستند الى (أورغانون) ارسطو، أي منطق ارسطو. ذكرنا قبل قليل انه وديكارت فهما العلم على انه بسط سيطرة الانسان على الطبيعة لاغناء حياة الانسان، لكن هذا لايتم الابمعرفة الاسباب الحقيقية الكامنة وراء الظواهر الطبيعية، لكن الاخطاء تتولد في عملية المعرفة نتيجة التعويل على النظر العقلي في الاستنتاجات والبراهين لكونها الوسيلة الوحيدة للمعرفة أي اعتماد على القياس الذي يتألف من احكام، وهذه بدورها من مفاهيم، والمفاهيم يستخلصونها بواسطة التعميم المتسرع، لذلك فالشرط الاول لاصلاح العلم وتقدم المعرفة الانسانية هو تحسين طرائق التعميم واستخلاص المفاهيم، وبما ان عملية (الاعمام) عملية استقرائية، كان الاساس المنطقي لاصلاح العلم هو وضع نظرية جديدة للاستقراء، كان الفلاسفة قبل بيكون بالوقائع التي تدحض تلك الاعمامات وتتناقض معها. وقد دعا بالامثلة السلبية بحيث تكفي واقعة منها لتدحض كلياً، اوجزئياً في الاقل الاعمامات المتسرعة، ويرى بيكون ان تجاهل

(المراجع السلبية) كان السبب الرئيس في جميع الاحكام الخاطئة والاوهام.

اما الشرط الثاني لاصلاح العلم فهو (تنظيف العقل من الاوهام) ويميز بيكون انواعاً اربعة من الاوهام او العوائق التي تعترض طريق المعرفة الحقة يسميها (اصنام العقل) وهي:

١- اوهام القبيلة

٢- اوهام الكهف

٣- اوهام السوق

٤- اوهام المسرح، وتابعه من الفلاسفة جون لوك وهيوم.

ثالثا: المذهب النقدي: هذا المذهب هو حصيلة التطور الذي حصل في الفلسفة نتيجة المذهبين (العقلي) و (التجريبي) والمقارنة بينهما والاستفادة من منجزات كل منهما والتخلص من المبالغات فيهما.

وقد قام الفيلسوف (عمانوئيل كانط) بهذه المحاولة للجمع بين المذهبين واضافة الكثير من عنده. فقد عد (كانط) ان التجربة والعقل ضروريان لاكتمال المعرفة، وان التجربة بدون العقل تبقى عمياء، وبدون توجه، في حين تكون المعرفة العقلية بدون التجربة المكتسبة فارغة لامضمون لها وقد سميت فلسفة (كانط) نقدية لانها تنقد قدرات المعرفة الانسانية، وتحكم على امكاناتها وحدودها. ورأى (كانط) ان العقل محكوم بحدود هي حدود وجوده، فهو يقف موقفاً متعادلاً امام القضايا الميتافيزيقية الكبرى التي تتعلق بالله والعالم والنفس. ثم توزعت الفلسفة في القرون اللاحقة بين هذه المناهج والمذاهب، او خرجت عنها.

ثانيا: الفكر الغربي المعاصر (الفلسفة المعاصرة)

١- لعلكم درستم في كتب التاريخ اوسوف تدرسون العوامل المؤثرة في تكوين الحياة الفكرية في القرنين التاسع عشر والعشرين واعني بهما:

أ- الثورة الفرنسية والحروب النابليونية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ونتائجها الفكرية والسياسية والاجتماعية.

ب - الثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ونتائجها الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية وماخلفته من آثار سلبية على المجتمع واستغلال للعمال في البلدان الصناعية، وكذلك نشوء الحركات الاستعمارية في البلدان الرأسمالية لاستعمار بلدان توفر مصادر رخيصة للمواد الاولية واسواقاً مفتوحة لترويج بضاعة

البلدان الاستعمارية، هذا التوجه الذي جسدته نظرية (دعه يعمل، دعه يمر) التي طرحها بعض المفكرين الفرنسيين وكررها فيما بعد العالم الاقتصادي ادم سميث.

ج–تطورات السريعة والمتلاحقة في اغلب العلوم كالرياضيات والفيزياء والفلك والكيمياء وعلوم الحياة وعلم النفس وغيرها.

د – عدم استقرار الخارطة السياسية في اوربا والعالم حتى بداية القرن العشرين وبعد الحربين العالميتين الاولى والثانية حيث اعيد تشكيل هذه الخارطة.

ه–النتائج النفسية والفكرية للحربين العالميتين وماسببتها من مآس للبشرية والصراع الايديولوجي الناتج من انقسام العالم الى معسكرين متنازعين.

٢– نظرة سريعة في الاتجاهات الفكرية والفلسفية في القرن التاسع عشر –

تعد فلسفته نقطة تحول في تاريخ الفلسفة اشبه بنقطة التحول التي يمثلها افلاطون وارسطو في تاريخ الفلسفة اليونانية وقد كان من اهم نتائج فلسفة (كانط) ظهور موجة من المثالية بدأت مع هيجل الذي عد ان العقل الانساني قادر على معرفة الحقيقة وصياغتها وان العقل الانساني لاحدود له وعد هيجل ان الحقيقة جدلية أي انها تتحرك خلال التناقضات فينتقل العقل من الفكرة الى نقيضها ثم يوجد بين الفكرة والنقيض وحدة اعلى وفكرة جديدة. وهذا مايسمى بالجدل، فمثلا عند طرح فكرة الذات الفارغة ينتقل العقل بالضرورة الى فكرة مناقضة هي فكرة الموضوع ثم تتحد الفكرة والنقيض أي الذات والموضوع في وحدة اعلى تجمع بينهما.

لقد كان هيجل مثاليا لانه اعطى الاولوية للروح وعد لحظات الروح الرئيسية الثلاثة: الفن والدين والفلسفة، قمة الحقيقة المطلقة وكان كذلك عقلانياً ولكنه اعتمد المنهج الجدلي ولم يعتمد الاستدلال كما فعل ديكارت وقد طبق هيجل فلسفته على كل جوانب الحقيقة بما في ذلك التاريخ. وبتأثير من فلسفته عمانوئيل كانط وهيجل وغيرهما من الفلاسفة الالمان ظهرت الحركة الرومانسية في الادب والفن.

امتدت المثالية الى انكلترا وفرنسا وايطاليا وجوبهت في ذات الوقت بردود فعل عنيفة من قبل (المادية الجدلية) التي استخدمت الجدل الهيجلي لتأكيد اولوية المادة وقوانينها على الروح وعدت ان كل شيء يمتثل للمادة وقوانينها بما في ذلك المجتمع والتاريخ والادب وعد ماركس احد رواد الجدلية، ان التفسير المادي للمجتمع يعني غلبة الجانب الاقتصادي

على كل ماعداه. وحاول تفسير التاريخ من خلال الصراع الطبقي في المجتمع وبقيت فلسفته مؤثرة لفترة طويلة وحاولت بعض الدول تطبيقها.

في هذه الحقبة ذاتها ظهر الاتجاه الاشتراكي في فرنسا وانكلترا والمانيا حيث حاول الفلاسفة الاشتراكيون تقديم حلول للمشكلات الاجتماعية التي شهدتها اوربا والغرب عامة في هذه المرحلة. فقد قدم هؤلاء الفلاسفة تصوراً عاما للحقيقة والمجتمع ودور الانسان والعالم والفيلسوف في تحسين اوضاع المجتمع. وحاول الاشتراكيون تطبيق تصوراتهم عملياً من خلال مجمعات وقرى وشاركو في بنائها وتنظيمها.

وظهر في فرنسا اتجاه اخر تأثر بالاشتراكية وماحققته العلوم التجريبية، ذلك هو الاتجاه الوضعي الذي بدأه الفيلسوف الفرنسي (اوكست كومت) حيث حاول تطبيق مناهج العلم الوضعي على الفكر والمجتمع.

ويعني بالعلم الوضعي المعرفة التي تقوم على الواقع ومايقدمه هذا الواقع من حقائق ووقائع وملاحظات وذلك لمعرفة القوانين التي تسير بموجبها هذه الوقائع واكتشافها عن طريق التجربة. وعند كومت الفلسفة الوضعية التي تنسق بين العلوم وتوحدها، تمثل الخلاص الوحيد للانسان والمجتمع. وقد اشتهر كومت في مجال علم الاجتماع الذي عده اهم العلوم في محاولة لايجاد قوانينه الثابته لكي يستطيع من خلالها تغيير المجتمع وتطويره.

من المهم ان نذكر ضمن هذا العرض لأهم الافكار في القرن التاسع عشر نظرية التطور التي بلورها العالم الحياتي تشارلز دارون حول نشوء الكائنات الحية وتطورها والتي كان لها تأثير كبير في الفكر والفلسفة هذه النظرية على ثلاثة افكار اساسية هي:

أ – فكرة الصراع من اجل البقاء بين الكائنات حيث الموارد قليلة والحاجات كثيرة فتتصارع الكائنات فيما بينها لتؤمن البقاء لنفسها ولجنسها.

ب – فكرة الانتخاب الطبيعي حيث تنتخب الطبيعة الافراد والانواع الاقوى والاقدر على التلاؤم مع البيئة والبقاء فيما تفني الكائنات الضعيفة لانها لاتستطيع المقاومة.

ج– – فكرة البقاء للاصلح نتيجة الصراع مع الطبيعة والكائنات الاخرى لا يبقى سوى الكائنات التي تصمد وتتطور لكي تقاوم وتستمر في البقاء.

واعتقد دارون ان مانجده اليوم من اشكال لبعض الكائنات هو نتيجة تطور هذه الاشكال من حالات اخرى الى شكلها الحالي نتيجة التطور من اجل مقاومة عناصر الطبيعة والتلاؤم

مع ظروف طارئة كالتغيرات المناخية.

لقد كان لهذه الافكار ارتباطات فلسفية واخلاقية ودينية فقد طبق بعض الفلاسفة والمفكرين مفهوم التطور على لتاريخ والمجتمع والانسان وعد بعضهم ان القوة والصراع يعبران عن جوهر الحقيقة فيما وجه نقد شديد من قبل بعض الفلاسفة ورجال الدين وفلاسفة الاخلاق الى مفهوم التطور ونتائجه الفلسفية والاخلاقية وغيرها. علينا قبل ان ننهي عرضنا هذا للافكار المؤثرة في القرن التاسع عشر ان نشير الى الدراسات للنفس الانسانية التي اثارت اهتماماً كبيراً والتي قام بها اطباء وعلماء نفس مثل سيغموند فرويد وكارول يونغ وغيرهما في محاولة لفهم النفس البشرية وتحليلها وبيان اسباب السلوك البشري ودوافعه، وقد اثرت هذه الدراسات في جوانب عديدة من الفكر والفلسفة والا دب، واصبح التحليل النفسي موضوعا اخر يضاف الى موضوعات التحليل الاخرى لفهم الحقيقة الانسانية.

٣ – الفلسفة المعاصرة في القرن العشرين:

شهد القرن العشرين من الناحية العلمية استكمال وترسيخ وتطوير ما بدأه العلماء في نهاية القرن السابق في مجالات الرياضيات والفيزياء والعلوم والكيمياء وعلم اللغة والمعلوماتية وعلم النفس والاجتماع والنقد الادبي وغيرها من الاختصاصات التي كان لها تاثير مباشر في الفلسفة خصوصا في مجالات المنطق ونظرية المعرفة والميتافيزيقا وفلسفة العلوم وفلسفة الجمال كما كان للحلابين الاولى والثانية اثرهما المباشر في الميتافزيقا والاخلاق مما ادى الى اعادة الاهتمام بشكل خاص بالسؤال عن طبيعة الانسان وحقيقة الوجود الانساني وعلاقته بالكون ومسؤوليته تجاه نفسه والاخرين والعالم فظهرت عدة اتجاهات مثل الوجودية التي حاولت تحديد معنى الوجود الانساني ومسؤولياته الاخلاقية.

وفي الشرق فان نهاية الحرب العالمية الاولى كانت نهاية سيطرة الدولة العثمانية على المنطقة وبداية تطلعه الى موقع مؤثر في الحضارة العالمية وطموح الى مستقبل يعيد العرب موقعهم واهميتهم كمشاركين في بناء الحضارة الانسانية التي كان هذا الجزء من العالم مساهماً جدياً وفاعلاً فيها بدءاً من فجر الحضارة قبل مايقرب من ستة الاف عام ومرورا بقرون الازدهار للحضارة العربية الاسلامية من القرن السابع الميلادي حتى القرن الثالث عشر الميلادي.

اما في الغرب فقد استمر تطور الفلسفة في جميع فروعها حيث تطور المنطق على ايدي اشخاص مثل جوتلوب فريجة وبرتراند رسل وظهرت مدارس مثل التجريبية المنطقية التي

حاولت الاستفادة من التطورات في العلوم والمنطق للتوصل الى منطق للعلوم ونظرية في المعرفة تعتمد التجريبية وقد اشتهرت هذه المدرسة برفضها للميتافيزيقا على اساس ان قضاياها لايمكن التحقق من صدقها عن طريق التجربة. وكان للتطورات المهمة في العلوم الطبيعية الناتجة عن النظريات التي طرحها آينشتاين وغيره من فيزياويين وعلماء كالنظرية النسبية ونظرية الكم وغيرها وماتبعها من تصور جديد للكون يختلف اختلافا تاما عن الصورة السابقة للكون في عصر نيوتن على سبيل المثال، هذه التطورات الجديدة ادت الى ظهور مدارس فلسفية جديدة تحاول ان تاخذ هذه المستجدات بنظر الاعتبار.

وقد اكتسبت التحليل اهمية خاصة في هذا القرن ويعني التحليل عملية تقسيم الحقائق او العبارات الفلسفية الى مكوناتها الاساسية وتحديدمعنى وطبيعة ووظيفة كل منها وقد يكون التحليل لغويا او منطقيا او فلسفيا، وعد كثير من الفلاسفة ان التحليل هو المنهج الاهم في الفلسفة وان اغلب المشكلات الفلسفية يمكن حلها عن طريق تحديد قضاياها ومفاهيمها وتحليلها للتوصل الى فهم ادق لمعانيها وكشف الاخطاء التي قد تكون متخفية في العبارات الفلسفية وقد مارس التحليل فلاسفة كبار مثل براتراند رسل وغيره. وقد تشعبت واتسعت الدراسات اللغوية وظهر علم واسع واشمل هو علم الاشارة او(السيميوطيقا) الذي يقوم بدراسة كل انواع نظم الاشارة التي يستعملها الانسان في حياته للتعامل مع الاخرين من خلال التخاطب والاتصال واهم هذه الاشارات هي اللغة التي تمتلك نظاما خاصا بها الى جانب اعداد اخرى هائلة من الاشارات او اللغات مثل لغة اشارات المرور ولغة الموسيقى ولغة العلم وغيرها.

ومن الدراسات المرتبطة بما سبق في مجال اللغة بعلم الاشارة بخاصة والتي اكتسبت اهمية خاصة في بداية الستينات من هذا القرن (البنيوية) التي طبقت في مجالات عديدة مثل اللغة وعلم الاجتماع والتحليل الادبي وتأتي كلمة البنيوية من (البنية) وجمعها (بُني) وتعني شكل اونمط او صورة معينة يمكن استخلاصها من الظواهر او الموضوعات المختلفة وتشترك فيها الاشياء المختلفة فالبنية اللغوية هي الشكل العام الذي نجده في اللغات المختلفة والذي يجعلها متشابهة من حيث بنيتها على الرغم من تمايزها كلغات، والبنية الاجتماعية هي الاشكال او الانماط التي تجدها في المجتمع والتي تتكرر في مختلف المجتمعات وقد اكتسبت البنيوية اهمية خاصة في الادب والنقد الادبي. ومن الفلسفات التي تأثرت بالعلم في بدايتها (المدرسة البرغماتية، الذرائعية) التي حاولت وضع مقياس للصدق يقوم على

الترجمة العلمية للمفاهيم العلمية والفلسفية، وهكذا كلما استطعنا ان نترجم مفاهيمنا المجردة الى خطوات او مواصفات عملية كانت اوضح واقرب الى القبول وان لم نتمكن من ذلك فهذا يعني اننا امام فكرة او مفهوم غامض لامعنى ولااهمية له. وقد حاول بعض (الذرائعيين) تطبيق هذه الافكار في مجال التربية والاخلاق وفلسفة العلم وغيرها. وتحورت بحيث وصلت احيانا الى درجة تغليب المصلحة والمنفعة الذاتية على ماعداهما ووجد بعض المفكرين ان هذه النظرة الاخيرة تمثل تجسيدا للروح الرأسمالية.

وقد ظهرت الواقعية كرد فعل على انتشار المثالية بتأثير فلسفة هيجل ومن تبعه وحاول الوقعيون ان يؤكدوا الوجود المستقل للعالم الخارجي وان الفكر او الذهن او الذات لاتمتلك اولوية في الوجود او في المعرفة. كما حاولوا تفسير كل شيء بارجاعه الى الواقع والطبيعة والاستغناء عن التفسيرات المثالية او الروحانية وقد وصف كثير من الفلاسفة فلسفاتهم بالواقعية.

ومن ردود الفعل المهمة على التخصيص الشديد والتجريد الذي مارسته الفلسفات التحليلية وغيرها انتقاد بعض الفلاسفة المعاصرين هذا التخصص والتجريد وعدوا ان مهمة الفيلسوف هي التعامل مع الفكر من خلال الظاهرة الانسانية والاجتماعية وان حل المشكلات الفكرية والانسانية لايتم من خلال صيغ مجردة وانما من خلال الوظائف المختلفة التي يؤديها الانسان كفرد في المجتمع والفعاليات التي يمارسها كالعلم والدين والسياسة والفلسفة وغيرها وان كل هذه الفعاليات ترتبط فيما بينها. وظهر في هذا المجال اتجاه يمكن تسميته بالانثروبولوجيا الفلسفية يدرس الانسان من خلال وجوده في المجتمع وممارسته لهذه الفعاليات والانشطة، مثلما شهد القرن ظهور الفلسفة الوجودية والظاهراتية. واخيرا فلربما كان من اهم التطورات في تاريخ الفلسفة بعد الستينات من هذا القرن هو تبلور مايسمى بفلسفة البيئة التي تأثرت بتخريب الانسان الغربي بشكل خاص بسبب كثرة وسوء استخدامه للتكنولوجيا الحديثة مما ادى الى الاضرار الفادح بنفسه وبالطبيعة وبالكائنات الاخرى. وحمل فلاسفة البيئة وجهة نظر الفلسفة الغربية مسؤولية مايحدث من تخريب للبيئة اليوم لانها تعطي الاولوية للانسان الغربي وتبرر كل مايحدث للعالم من كوارث من خلال تغليب مصلحة العالم الغربي على كل ماعداه.

يمكن ان نختم هذا الفصل بالقول ان الفلسفة في القرن العشرين لاتزال تتطور وتحاول التعامل مع المستجدات والصعوبات التي تجابه انسان القرن العشرين الذي يقف على اعتاب قرن جديد هو القرن الحادي والعشرين.

اسئله الفصل السادس:

س١- كيف ظهر الفكر الفلسفي الاوربي الحديث وعوامل ظهوره؟

س٢- ماذا تعرف عن ديكارت، بيكون، تكلم عن واحد منهما فقط.

س٣- ماهي اهم تيارات الفلسفة الحديثة؟ عددها وتكلم عن واحد منها.

س٤- ما المقصود:

أ- بالمذهب العقلي.

ب - المذهب التجريبي.

جـ - الفلسفة النقدية.

اختر واحداً منها وتحدث عنه بإيجاز.

س٥- ماهو اثر الاكتشافات العلمية على الفلسفة واتجاهاتها؟

س٦- ما الفرق بين الفلسفة المثالية والفلسفة المادية التأريخية؟

س٧- ماهي اهم التيارات الفلسفية الاوربية في القرن العشرين؟

س٨- ماهي طبيعة الفكر العربي في عصر النهضة وفي زماننا هذا؟

الفهرست